مناظرة الإمام البَاقِلاَّنيِّ للنَّصارى
دراسة عقَدِيَّة

تأليف

د / صلاح محمود محمود الباجوري

أستاذ الأديان والمذاهب المساعد

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر الشَّريف

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

ملخص البحث:

تعد المناظرة من أبرز وسائل الدعوة إلى الله - جلَّ وعلا - وهي مشروعةٌ لإقامة الحُجَّة، أو لردِّ الشبهة، أو لإظهار فسادِ قولٍ أو رأي، ومن أبرز العلماء الذين استخدموا المناظرة فلقد كان له في الردّ على أهل البدعِ مساعٍ مشكورة، كما كانت له صولات وجولات مع خصوم السُّنة وأعداء المِلَّة، ناهيكَ عن مناظرته للنصارى، حتى لقد بلغ من إعجاب العلماء به أن أطلقوا عليه "سيف السُّنَّة"، و"لسان الأُمَّة"،ومُجدّد المائة الرابعة للهجرة.

وجاء هذا البحث ليلقي الضوء على مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى حول قضايا متعددة، منها :

(معجزة انشقاق القمر لنبيّنا محمّد - ﷺ- ، وعقيدة بنوَّة المسيح لله تعالى، ونقض أدلة النصارى على ذلك، وقضية اتِّحاد اللاهوت بالنَّاسُوت، وحادث الإفك، والتعريض بأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها).

الكلمات الدالة:

مناظرة –الباقلاني-للنصارى-عقدية

المقدمة

الحمد لله، حمداً يوافي نِعَمَه، ويُكافِئُ مزيدَ إحسانِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ، وآلِه.

وبعدُ، فإنَّ المناظرة مِن أبرز وسائل الدعوة إلى الله – جلَّ وعلا – وهي مشروعةٌ لإقامة الحُجَّة، أو لـردِّ الشبهة، أو لإظهـار فسـادِ قـولٍ أو رأي. قـال – تعـالى – في كتابه العزيز : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[1].

ولأهمية المناظرة في هذا المجال كان النبيُّ ﷺ طرفاً فيها، ومن أبرزها مناظراته ﷺ مع وفْدِ (نصارى نجران)[2]، الذين قدموا المدينةَ، وناظروه في شأن عيسى عليه السلام، وهي المناظرة التي يُجمِعُ المفسرون على أنَّ الآيات الثمانين ونَيِّفاً من صَدْرِ سورة "آل عمران" قد نزلت بشأنها[3].

---

(١) سورة النحل: الآية رقم ١٢٥.

(٢) وَفْدٌ من نصارى (نجران)، كانوا ستين راكباً، قَدِموا المدينةَ على رسول الله ﷺ، ودخلوا مسجده النبويّ، وعليهم ثيابُ الحِبَرة، وأرديةُ الحرير، مختَّمين بخواتم الذهب، فعرض عليهم النبيُّ ﷺ الإسلامَ، فامتنعوا، وقالوا : "قد كنَّا مسلمين قبلك"، فقال ﷺ : "كذبتم؛ يمنعكم من الإسلام ثلاثٌ: عبادتكم الصَّليب، وأكلُكم لحم الخنزير، وزعمكم أنَّ للهِ ولدا"، فغضبوا، وقالوا للنبي ﷺ : إن كنتَ صادقا فأَرِنا عبداً يحيي الموتَى، ويشفي الأكمهَ والأبرصَ، ويخلق من الطينِ طيراً، فينفخ فيها فتطير؟ فسكتَ ﷺ ، فنزل الوحيُ بقوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [سورة المائدة: الآية ١٧]، وقوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ} [سورة آل عمران: الآية ٥٩]، ثم قال لهم ﷺ : "إنَّ الله أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أن أُبَاهِلكم" أي ندعوا ونجتهد في الدعاءِ باللعنةِ على الكاذب، فقالوا له: يا أبا القاسم، نرجع فننظر في أمرنا، ثم نأتيك، فخلا بعضُهم ببعض، وقالوا : والله علمتم أنَّ الرجل نبيٌّ مرسَل، وما لاعَنَ قومٌ قط إلاَّ استُؤصِلوا، أي: أُخذوا عن آخرهم، وإن أنتم أَبَيْتُم إلاَّ دينكم فوادِعوه، وصالحوه وارجعوا إلى بلادكم. فصالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، صالحوه على ألف حُلَّةٍ، في صَفَر، وألفٍ في رجب، ومع كلِّ حُلَّة أُوقيةٌ من الفضة، وكتب لهم ﷺ كتاباً، وقالوا له: أرسل معنا أميناً، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح. [السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، علي بن إبراهيم بن أحمد بن برهان الدين الحلبي، ٣/ ٢٩٨– ٢٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ].

(٣) راجع: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ٩٩/١، دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير، تفسير الرازي)، أبو عبد الله، محمد بن عمر الرازي، ٦٤/٢٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، ٣٦٩/١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

وعلى منهج النبوةِ في الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، سار علماءُ الإسلام. وكان ممَّن قام بهذا الواجب خيرَ قيامٍ، الإمام أبو بكر الباقلانيّ، فلقد كان له في الردّ على أهل البدعِ مساعٍ مشكورة، كما كانت له صولات وجولات مع خصوم السُّنة وأعداء المِلَّة، ناهيك عن مناظرته للنصارى، حتى لقد بلغ من إعجاب العلماء به أن أطلقوا عليه "سيف السُّنَّة"، و"لسان الأُمَّة"(١)، ومُجدّد المائة الرابعة للهجرة(٢).

أسباب اختيار الموضوع :

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب، هي :

١- المكانة العلمية التي تبوَّأها الإمامُ الباقلاني، فهو مِن أكابر أعلام المدرسة الأشعرية، و"رأس المتكلِّمين المنتسبين إلى مذهب الإمام أبي الحسن(٣) رحمه الله " (١).

---

(١) راجع: سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد الذَّهبي، ١٧/ ١٩٠، حقَّقه وخرَّج أحاديثَه وعلَّق عليه: شعيبُ الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ٣/ ١٤٧، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي، ٤/ ٢٣٤، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، بدون تاريخ، عيون المناظرات. أبو عليّ، عمر السّكوني، ص٢٤٤، تحقيق: سعد غراب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٢٦م.

(٢) راجع: مرآة الجنان وعِبرة اليقظان. أبو محمد، عبد الله بن أسعد اليافعي، ٢/ ٣٠٣، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمَن يستحق القضاءَ والفتيا). أبو الحسن، علي بن عبد الله النُّبَاهِي، ص٣٧، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٣) عليّ بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، أبو الحسن (٢٦٠- ٣٢٤هـ = ٨٧٤- ٩٣٦م): من نَسْلِ الصَّحابي الجليل أبي موسى الأشعري. وُلد في البصرة. وتُوفِّي ببغداد. يقول عنه الإمام السُّبكي: "شيخُنا وقدوتُنا إلى الله تعالى، الشيخُ أبو الحسن الأشعري البصريّ، شيخُ طريقة أهل السّنة والجماعة، وإمام المتكلّمين، وناصرُ سُنَّةِ سيّد الْمُرْسلين، والذَّابُّ عَن الدّين، والسَّاعي في حِفظ عقائد المسلمين سعياً يبقى أثرُه إلى يوم يقومُ النَّاسُ لربّ العالمين. كان - أَولاً - قد أخذ عن "أبي عليّ الجبائي"، وتبعه في الاعتزال، ويُقال إنَّه أقام على الاعتزال أربعين سنةً، حتى صار للمعتزلةِ إماماً، فلمَّا أراده اللهُ لنَصْرِ دِينه، وشَرَحَ صدره لاتِّباع الحقِّ، غاب عن الناس في بيته خمسةَ عشرَ يوماً، ثم خرج إلى الجامع، وصعد المنبر، وقال: "معاشر الناس، إنما تغيَّبتُ عنكم هذه المدَّة؛ لأني نظرتُ، فتكافأَتْ عندي الأدلةُ، ولم يترجّح عندي شيءٌ على شيءٍ، فاستهديتُ اللهَ - تعالى - فهداني إلى اعتقاد ما أودعتُه في كُتبي هذه، وانخلعتُ من جميع ما كنتُ أعتقده كما انخلعتُ من ثوبي هذا، وانخلع من ثوبٍ كان عليه، ورمَى به، ودفع الكتبَ التي ألَّفها على مذاهب أهل السنة إلى الناس. [طبقات الشافعية الكبرى. عبد الوهاب بن تقي

٢- سَعة علم الإمام الباقلانيّ، وغزارة إنتاجه، خاصةً فيما يتَّصل بعلوم العقيدة[٢].

٣- طُول باعِه في المناظرة[٣]، فلقد كان - رحمه الله - "عظيمَ الجَدَل"[٤]، معروفاً بجودةِ الاستنباط، وسُرعة الجواب، وقوَّةِ الحافظة[٥]، موصوفاً بين المؤرِّخين بأنَّه "بَحْرٌ مُغْرِق"[٦]، حتَّى لقد "رضِيَتْ بِهِ سائرُ الفِرق في الحُكمِ بين المتناظرين"[٧].

٤- القيام بالواجب نحو علماء الأُمَّة، بإبراز جهودهم، وطريقتهم في الدفاع عن الإسلام، والذَّود عن حياضه.

الدين السبكي، ٣/ ٣٤٧ - ٣٤٨، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ]، ونقل الإمام الذهبي، عن الفقيه أبي بكر الصَّيرفي، قوله: "كانت المعتزلةُ قد رفعوا رؤوسَهم، حتى نشأ الأشعريُّ، فحَجَرهم في أقماع السِّمسم"، وللإمام الأشعريّ تصانيف جمَّة تقضي له بسَعة العلم، منها: (مقالات الإسلاميين)، و(الإبانة عن أصول الديانة)، و(الفصول في الرد على الملحدين)، و(الرد على المجسمة)، و(اللمع في الرد على أهل البدع)، و(النقض على الجبائي) ، و(النقض على البلخي)، و(جمل مقالات الملحدين). [سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٨٥ - ٨٧].

(١) راجع: البداية والنهاية. أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، ١٥/ ٥٤٨، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هَجَر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مجموع الفتاوى. أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٥/ ٩٨، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) راجع قائمةَ آثاره العلمية من هذا البحث.

(٣) راجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أبو العباس، أحمد بن محمد بن خلكان، ٤/ ٢٦٩، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون طبعة.

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. أبو الفضل، عياض بن موسى السبتيّ، ٧/ ٤٥، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، الديباج المذهَّب في معرفة أعيان علماء المذهَب. إبراهيم بن علي بن محمد فرحون، ٢/ ٢٢٨، تحقيق وتعليق: د/ محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

(٥) راجع: وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩)، تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٤)، الوافي بالوفيات (٦/ ٧٠)، طبقات الشافعية الكبرى (٢٥٧/٤).

(٧) ترتيب المدارك : ٧/ ٤٥.

الدراسات السابقة :

على كثرة ما كُتب عن الإمام الباقلانيّ، ومنهجه في العقيدة وعلم الكلام[1]، ورغم أنَّ المناظرة موضوع البحث، طُبعت مفردةً ومُسْتَلَّةً من مصادرها[2]، إلاَّ أنها لم تحظ بدراسة خاصة، تُعنَى بتحليلها، وإبراز القضايا العقديَّة فيها، ومناقشتها.

منهج البحث :

اعتمدتُ في هذا البحث على منهجين، هما :

أولا: المنهج التاريخي (الاستردادي): وهو المنهج الذي يسجِّل وقائعَ الماضي وأحداثه، ويفسِّرها على أُسس علميةٍ ومنهجية دقيقة؛ للتوصل إلى حقائق وتعميمات تساعد في فهم الحاضر[3].

ثانيا: المنهج التَّحليلي: وهو "منهجٌ يقومُ على دراسةِ الإشكالاتِ العلميَّة المختلفة، تفكيكاً، أو تركيباً، أو تقويماً"[4].

وقد اتبعتُ في ذلك آليَّةً تقوم على الخطوات الآتية :

أولا: عرْضُ موضوعات المناظرة في صورةِ قضايا ذات أفكار مترابطة، ويتضح ذلك من خلال النظر في مباحث الدراسة ومطالبها.

ثانيا: تأصيل القضايا عَقَديّاً، بالرجوع إلى المصادر الإسلامية والكِتابيَّة المعتمدَة لدى أصحابها[5].

ثالثا: الاعتماد على رُدودِ الإمام الباقلانيّ، وإبرازها من خلال وقائع المناظرة وأحداثها.

---

(١) من هذه الكتب: الباقلاني، وآراؤه الكلامية. د/ محمد رمضان عبد الله، لجنة إحياء التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجمهورية العراقيّة، مطبعة الأمّة، بغداد، ١٩٨٦م، الإمام أبو بكر الباقلاني، وآراؤه الاعتقادية في ضوء عقيدة السلف. جودي صلاح الدّين النتشة، ماجستير، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدِّين، جامعة أمّ القُرى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٢) طُبعت المناظرةُ تحت عنوان: المناظرة العجيبة (وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم)، جمَعها ونسَّقها: محمّد بن عبد العزيز الخضيري، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: مناهج البحث العلمي. د/ عبد الرحمن بدوي، ص١٨٣ – ١٨٤، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.

(٤) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/ فريد الأنصاري، ص٩٦، سلسلة الحوار، العدد ٢٧، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٥) تم ترتيب المصادر وذِكْرها في هوامش الصفحات، بحسب وفاة المؤلف.

رابعا: الاستدراك على الإمام الباقلاني في بعض الردود التي أوردها، وتدعيمها بأقوالِ علماء آخرين؛ طلباً لتكامل الفكرة وإيضاحها.

خُطة البحث :

يتكون البحث من : مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة، وتشتمل على: أسباب اختيار الموضوع، الدراسات السابقة عليه، منهج البحث فيه، خطَّة البحث.

التمهيد. وفيه ستِّ نقاط :

- أولا: التعريف بـ (المناظرة) وبيان مشروعيتها.
- ثانيا: ترجمة موجزة للإمام الباقلاني.
- ثالثا: مواقف بين يدي المناظرة.
- رابعا: نَصُّ المناظرة.
- خامسا: مصادر المناظرة.
- سادسا: سبب المناظرة.

المبحث الأول: **معجزة انشقاق القمر لنبيِّنا محمّد ﷺ**، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: ثبوت انشقاق القمر.
- المطلب الثاني: موقف علماء المسلمين من انشقاق القمر.
- المطلب الثالث: اعتراضات المناظَر، وجواب الإمام الباقلانيّ عليها.

المبحث الثاني: **طبيعة المسيح عيسى** ؈، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: عقيدة بنوَّة المسيح لله تعالى.
- المطلب الثاني: أدلَّة المناظر على بنوَّة المسيح لله تعالى.
- المطلب الثالث: جواب الإمام الباقلانيّ على هذه الأدلة.

المبحث الثالث: **اتِّحاد اللاهوت بالنَّاسُوت**. وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: عقيدة الاتِّحاد عند النصارى.
- المطلب الثاني: نقض الإمام الباقلاني لعقيدة الاتحاد.

المبحث الرابع: **حادث الإفك**. وفيه مطلبان :

- المطلب الأول: تعريض المناظَر بأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها).
- المطلب الثاني: جواب الإمام الباقلاني عليه.

الخاتمة، وفيها نتائج البحث.

ثم فهارس البحث، وهي نوعان: فهرسٌ تفصيليٌّ بالمصادر والمراجع، وفهرسٌ بالموضوعات.

وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارَك على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبه أجمعين.

د/ صلاح محمود محمود الباجوري

حائل، المملكة العربية السعودية

٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ = ١٩مارس ٢٠١٧م

التمهــيد

أولا: التعريف بالمُنَاظَرَةِ، وبيان مشروعيتها

التعريف بالمُنَاظَرَة

المناظَرة، لغةً :

تعودُ لفظةُ (المناظرةِ) إلى أصلٍ ثلاثيٍّ (النُّون، والظَّاء، والرَّاء)، وهو أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَرْجِعُ فُرُوعُهُ إِلَى مَعْنًى واحدٍ، وَهُوَ: تَأَمُّلُ الشَّيْءِ وَمُعَايَنَتُهُ. يُقَالُ: نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ، إِذَا عَايَنْتَه. ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيُتَّسَعُ فِيهِ ليشمل المعاني الآتية :

– **التجاور**. يُقالُ: حَيٌّ حِلالٌ ونَظَرٌ، أي: متجاورون، يرى بعضُهم بعضاً.

– **المقابلة**. يُقَالُ: دارِي تَنْظُرُ إلى دارِ فلانٍ، ودُورُنَا تَناظَرُ، أي: تُقَابَلُ.

– **الانتظار**. يقال: نَظَرْتُهُ، أَي: انْتَظَرْتُه.

– **المماثلة**. يُقَالُ: نَاظَرْتُ فُلَانًا، أَي: صِرْتُ نَظِيرًا لَهُ فِي الْمُخَاطَبَة.

– **الجِدَال**. يقال ناظَرَهُ، أي: جادَلَهُ، وتَنَاظَرَ الْقَوْمُ فِي الأمر: تجادَلوا وتراوَضُوا(١).

المناظَرة، اصطلاحًا :

عُرِّفت (المناظَرَةُ) اصطلاحاً بتعريفاتٍ، منها:

– أَن تُناظِرَ أخاكَ فِي أمرٍ إذا نظرتما فِيهِ مَعًا كَيفَ تَأْتِيانِه(١).

---

(١) راجع: الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ٢/٨٣٠، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ٥/ ٤٤٤، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ١٠/ ٦٦٥١ – ٦٦٥٦، تحقيق: د/ حسين بن عبد الله العمري، وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، لسان العرب. أبو الفضل، محمد بن مكرم بن منظور، ٥/ ٢١٥، ٢١٩، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، التعريفات. علي بن محمد بن الجرجاني، ص٢٣١، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

- "المباحثةُ، والمبارَاةُ في النَّظرِ، واستحضارُ كلّ ما يراه ببصيرته"[٢].

- "النَّظرُ بالبصيرة من الجانبين في النسبةِ بين الشيئين؛ إظهارًا للصَّواب"[٣].

- المحاورة بين شخصين حول موضوعٍ، يَقصد كلُّ واحدٍ منهما إثباتَ وجهةِ نظره، وإبطالَ وجهة نظر صاحبه، مع رغبته الصَّادقة في ظهور الحقّ، والاعتراف به لَدَى ظهوره[٤].

وخلاصة القول:

١- أنَّ التعريف اللغوي لـ (المناظَرة) يدلُّ على أنَّها مفاعَلَةٌ بين طرفين.

٢- وجود ترابط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمناظرة، في كونها يحصل فيها الآتي:

- النِّديَّة أو المِثْلِيَّة بين المتناظرين.

- النَّظَر: بمعنى التأمل والتفكُّر في حُجَّة الخصم ودليلِه، وقد يكون (النَّظَر الحسيّ)؛ فكلٌّ من المتناظِرَين ينظر إلى مُناظِره.

- الانتظار: لكون كلٍّ من المتناظِرَيْن ينتظر صاحبَه حتَّى يُتِمَّ كلامَه، ثم يجيب عنه.

- التقابُل بين المتناظرين، وبين أدلَّتهما.

مشروعية المُنَاظَرَة

تقوم مشروعية المناظرة، والنَّدب إلى استخدامها في الدعوةِ إلى الله تعالى، على السَّند الشرعي الوارد في القرآن الكريم، والسُّنة النبوية. وهو ما يمكن إيضاحه من خلال الآتي:

١- مشروعية المناظرة في القرآن الكريم :

الأصل في مشروعية المناظرة الآيات القرآنية التي تحضُّ على مجادلة المشركين، ودعوتهم إلى الحقّ،

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس. أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، ١٤/ ٢٥٤ ، دار الهداية، بدون طبعة.

(٢) المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم، الحسين بن محمد، المعروف بـ (الراغب الأصفهاني)، ص٨١٤، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٣) التعريفات للجرجاني: ص ٢٣٢.

(٤) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٣٧١، بتصرف، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

بالحكمة والموعظة الحسنة. ومنها قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}(١).

ففي هذه الآية "دلالةٌ على جواز المناظرة، والمجادلة مع الكَفَرة في الدِّين"(٢).

ومعنى {جَادِلْهُمْ} "أي: ناظِرْ مُعانديهم {بالتي هِيَ أَحْسَن} أي: بالطريقة التي هي أحسن طرقِ المناظرة والمجادلة، من الرِّفقِ واللينِ، واختيار الوجهِ الأيسر، واستعمال المقدّمات المشهورة؛ تسكيناً لشغَبهم، وإطفاءً لِلَهبهم"(٣).

وذكر الإمام القرطبي(٤) عند تفسير آية مُحَاجّةِ إبراهيم عليه السلام للنمرود(٥)، قال: والآية تدلُّ على إثبات المناظرة، والمجادلة، وإقامة الحُجَّة، وفي القرآن والسُّنة من هذا كثيرٌ لمن تأمَّله، قال تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(٦)، وقال سبحانه: {إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا}(٧) أي مِن حُجَّة؛ لأنَّه لا يظهر الفرقُ بين الحقِّ والباطل إلاَّ بظهور حُجَّةِ الحق، ودحضِ حُجَّةِ الباطل، وقد جادل رسولُ الله ﷺ

---

(١) سورة النحل: الآية رقم ١٢٥.

(٢) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، ٨/ ٢٣٤، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ٥١/٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦هـ = ١١٨٢ - ١٢٥٨م) : فقيه مالكي، من رجال الحديث. كان مدرِّساً بالإسكندرية، وتوفي بها. ومولده بقرطبة. من مصنفاته: (المفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)، (اختصار صحيح البخاري). [سلم الوصول إلى طبقات الفحول. مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، ١٨٦/١، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول - تركيا، سنة ٢٠١٠م، الأعلام. خير الدين بن محمود الزركلي ١٨٦، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، مايو ٢٠٠٢م].

(٥) قال مجاهد: هو النمرود بن كنعان بن سام بن نوح، وهو أول مَن وضع التاج على رأسه، وتجبَّر وادعى الربوبية. (اللباب في علوم الكتاب. أبو حفص عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، ٤/ ٣٣٧، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ).

(٦) سورة البقرة: الآية رقم ١١١.

(٧) سورة يونس: الآية رقم ٦٨.

أهلَ الكتاب، وبَاهَلَهُم[1] بعد الحُجَّة[2].

ويـدلُّ علـى مشـروعية المنـاظرة – أيضـاً – مـا ورد في القـرآن الكـريم مِـن منـاظراتِ الأنبيـاء مـع أقوامهم[3].

٢– مشروعية المناظرة من السُّنة النبوية :

وممَّا يـدلُّ على مشـروعية المنـاظرة مـن السُّـنة النبويـة، مـا رواه أنسٌ[4] ﷺ، أنَّ رسـولَ الله ﷺ قـال: "جاهِدُوا المشركِينَ بأموالِكم وأنفُسِكم وألسنتِكُم"[5]؛ فـ "في هذا الحديثِ أَمْرٌ بالمناظرةِ، وإيجابها، كإيجاب الجهاد والنَّفقة في سبيل الله"[6].

---

(١) يقال: بَاهَلْتُ فُلَانًا، أَي: لَاعَنْتُهُ، وَمَعْنَى المبَاهَلَة: أَن يَجْتَمِعَ الْقَوْمُ إِذا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ، فَيَقُولُوا: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِ مِنَّا. (لسان العرب: ١١/ ٧٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ٣/ ٢٨٦ بتصرف يسير، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٣) راجع على – سبيل المثال — مناظرة نوح عليه السلام قومه في : سورة الأعراف: الآيات ٥٩ – ٦٤، سورة هود: الآيات ٢٥–٣٥، سورة الشعراء: الآيات ١٠٥ — ١١٦، مناظرة إبراهيم عليه السلام قوه في : سورة الأنعام: الآية ٨٣، سورة البقرة: الآية ٢٥٨، سورة الأنعام: الآيات ٧٥ — ٧٩، سورة الشعراء: الآيات ٦٩ — ٨٢.

(٤) أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، أبو حمزة (١٠ق هـ – ٩٣هـ = ٦١٢ –٧١٢م): صاحب رسول الله ﷺ . مولده بالمدينة. أسلم صغيراً، وخدم النبي ﷺ إلى أن قُبض، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. [سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩٥، الإصابة في تمييز الصحابة. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ٢٧٥/١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ].

(٥) سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ٢٠٠٠م، كتاب: الجهاد، باب: في جهاد المشركين باللسان واليد (٣/ ١٥٧٧)، وقال محققه: "إسناده صحيح"، سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السّجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب: الجهاد، باب: كراهية تَرْك الغزو (١٠/٣)، السنن الكبرى. أحمد بن شعيب النسائي، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، كتاب: الجهاد، باب: وجوب الجهاد (٤/ ٢٦٩).

(٦) الإحكام في أصول الأحكام. أبو محمد، علي بن أحمد بن حزم، ١/ ٢٩، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

وعَنْ ابنِ مسعود[1] ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ[2] وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ[3] يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ"[4].

فقوله ﷺ : "وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ" إشارةً إلى المناظرة والجهاد بالحجة والبرهان، يقول ابن تيمية[5] – رحمه الله – : "كلُّ مَن لم يناظر أهلَ الإلحاد والبدع مناظرةً تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلامَ حقَّه، ولا وفَّى بموجبِ العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس" ا.هـ[6].

وبهذا تظهر لنا مشروعيةُ المناظرة، وأهميتها في مجال الدعوة إلى دينِ الله، وإقامةُ الحُجَّة على المخالفين، وقَطْعُ شُبَه المبطِلين.

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن (٠٠٠ – ٣٢هـ = ٠٠٠ – ٦٥٣م) : من أكابر الصحابة. أسلم قديما، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا، والمشاهدَ بعدها، ولازم النبيّ ﷺ ، وكان صاحبَ نعليه، وهو أوّل مَن جهر بالقرآن بمكة، ولي بعد وفاة النبي ﷺ بيتَ مال الكوفة، وتوفي بالمدينة عن نحو ستين عاما. له ٨٤٨ حديثا. [سير أعلام النبلاء: ١/ ٤٦١ — ٥٠٠، الإصابة في تمييز الصحابة : ٤/ ١٩٨، الأعلام للزركلي: ٤/ ١٣٧].

(٢) الحواريُّون: هم خُلصاء الأنبياء وأصفياؤهم. وقيل: أنصارُهم، وقيل غير ذلك. (شرح النووي على صحيح مسلم. أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي، ٢/ ٢٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ).

(٣) تَخْلُفُ: أي تَحْدُثُ، و(الخُلوف) جمع (خلْف) بإسكان اللام، وهو الخالف بشرّ، أو (خلَف) بفتح اللام، وهو الخالف بخير. (شرح النووي على مسلم: ٢/ ٢٨).

(٤) صحيح الإمام مسلم. أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ١/ ٦٩.

(٥) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، أبو العبَّاس، تقي الدين ابن تيميَّة (٦٦١– ٧٢٨هـ = ١٢٦٣– ١٣٢٨م) : الإمام، شيخ الإسلام. وُلِد في حرَّان، وتحوَّل به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر. وطُلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصَّب عليه جماعة من أهلها، فسُجن مدَّة، ونُقل إلى الإسكندرية. ثم أُطلق. مات معتقلا بقلعة دمشق. من تصانيفه: (الفتاوى)، و(منهاج السنة)، و(الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان)، و(رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، و(السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية). [الوافي بالوفيات: ٧/ ١١، الأعلام للزركلي: ١/ ١٤٤].

(٦) مجموع الفتاوى: ٢٠/ ١٦٥.

ثانيا : ترجمة موجزة للإمام الباقلاني

[٣٣٨- ٤٠٣هـ = ٩٥٠- ١٠١٥م]

١- اسمه :

هو أبو بكر، محمَّد بن الطيِّب بن محمد بن جعفر بن القاسم بن الباقِلاَّنِيّ[١]، و(البَاقِلاَّنِيّ) نسبة إلى "بَاقِلاَّء"[٢]، وبَيْعِه[٣].

٢- لقبه :

لُقِّب الإمام الباقلانيُّ بالألقاب الآتية: (القاضي)[٤]، و(سَيْف السُّنَّة)، و(لسان الأُمَّة)[٥].

٣- مولده ونشأته :

وُلد الإمام البَاقِلاَّنِيُّ، بالبصرة[٦]، ونشأ بها، فلمَّا بلغ التلقِّي والتَّحصيل رحل إلى "بغداد"، وسكن بها، ونهل من معين عُلمائها[٧].

---

(١) راجع: تاريخ بغداد. أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت، المعروف بـ (الخطيب البغدادي)، ٣/ ٣٦٤، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ترتيب المدارك (٧/ ٤٤). سير أعلام النبلاء (١٧/١٩٠)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٤٧)، الأعلام للزركلي، ٦/ ١٧٦.

(٢) البَاقِلاءُ والبَاقِلَّى: الفُول. (لسان العرب : ١١/ ٦٢).

(٣) الأنساب. أبو سعد، عبد الكريم بن محمد السمعاني، ٥٢/٢، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٠).

(٤) ولي الإمام الباقلاني — رحمه الله — القضاءَ بالثغر. (ترتيب المدارك: ٤٥/٧).

(٥) راجع: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٤٧)، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٤)، عيون المناظرات (ص٢٤٤).

(٦) لم يتفق المؤرخون على تاريخ مولد الباقلاني، وقد عيَّنه الزركلي، بسنة ٣٣٨هـ - ٩٥٠م. (راجع: الأعلام، ٦/ ١٧٦)، ويرجِّح (سزكين) أنه وُلد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري. (راجع: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين، ٢/ ٣٨٤، نقله إلى العربية: د/محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).

(٧) تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٤)، ترتيب المدارك (٧/ ٤٤) الأنساب للسمعاني (٥٢/٢)، تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بـ (ابن عساكر)، ص٢١٧، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩)، فهرست اللَّبْلِي. أبو الحجاج، أحمد بن يوسف الفِهري،

٤- مذهبه في العقيدة والفقه :

كان الإمام الباقلانيُّ، في الاعتقاد على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعريّ - رحمهما الله تعالى - مؤيِّداً اعتقاده، وناصراً طريقته[١]،"وقد يخالفه في مضائق؛ فإنَّه من نُظرائِه"[٢].

أمَّا مذهبه الفقهي، فهو المذهب المالكي[٣]، وقد "انتهت إليه رئاسة المالكيين في وقته"[٤].

٥- ثناء العلماء عليه:

أثنَىٰ على الإمام الباقلانيّ طائفةٌ كبيرة من العلماء، ممَّن عاصروه، أو جاءوا بعده، وهذه كلمات لبعض هؤلاء الأجِلّة، مما نقله الثقاتُ في كُتبهم :

يقول عنه أبو عبد الله الصَّيْرَفِي - رحمه الله - : "كان صلاحُ القاضي أكثرَ من علمه، وما نفع اللهُ هذه الأمَّةَ بكُتبه وبثِّها فيهم، إلَّا لِحُسن سريرته ونيَّته، واحتسابه ذلك عند ربّه"[٥].

ويقول أبو الحسن بن جَهْضَمٍ الهمدانيّ[٦]- رحمه الله - : "كان شيخَ وقته، وعالِمَ عصرِه، المرجوعَ إليه فيما أشكل على غيره"[٧].

ص٥٤، تحقيق: ياسين يوسف بن عياش، عواد عبد ربه أبو زينة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠)، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٤).

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ١٥/ ٩٦، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحَّحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩)، البداية والنهاية (١٥/ ٥٤٨).

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٩٠.

(٣) ترتيب المدارك (٧/ ٤٥)، تبيين كذب المفتري (ص١٢٠)، عيون المناظرات (ص٢٤٤)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٧)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. أحمد بن محمد المقري، ٢/ ٧٠، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

(٤) ترتيب المدارك (٧/ ٤٦)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩١)، النجوم الزاهرة (٤/ ٢٣٤).

(٥) تبيين كذب المفتري (ص١٢٠)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٧).

(٦) علي بن عبد الله بن الحسين بن جَهْضَم الهمذاني الشافعيّ، أبو الحسن (٠٠٠ - ٤١٤هـ = ٠٠٠ - ١٠٢٣م) : زاهد، كان شيخَ الصوفية بحرمِ مكَّة، ووفاته بها. له كتاب (بهجة الأسرار). [سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٧٥، الأعلام للزركلي: ٤/ ٣٠٤].

(٧) ترتيب المدارك (٧/ ٤٥)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٧).

ويقول ابن عمار الميورقي(١)- رحمه الله - : "كان القاضي أبو بكر مالكياً، فاضلا، متورِّعاً، ممن لم يُحفظ عليه زلَّة قطّ، ولا انتسبت إليه نقيصةٍ، وكان حصناً من حصون المسلمين، وما سُرَّ أهل البدعةِ بشيءٍ كسُرورِهم بموته"(٢).

وذكره القاضي عياض(٣)- رحمه الله - في "طبقات الفقهاء المالكيّة " فقال: "هو الملقَّب بسيفِ السُّنة، ولسانِ الأمة، المتكلّم على لسانِ أهل الحديث، وطريق أبي الحسن الأشعريّ"(٤).

وقال عنه أبو عمران الفاسي(٥)- رحمه الله - : "سيف أهلِ السُّنة في زمانه، وإمامُ متكلِّمي أهلِ الحقّ في وقتنا"(٦).

وكان أبو الحسن التميمي(٧)- رحمه الله - يقول لأصحابه: "تمسَّكوا بهذا الرجل؛ فليس للسُّنة عنه غنىً أبدا"(٨).

---

(١) محمد بن موسى بن عمَّار، أبو عبد الله الكلاعي: كان من أهل العلم والفَهم، غلب عليه علمُ التوحيد والكلام فيه، وألَّف في ذلك كتاب (الإعلام)، وكان حسنَ العبارة، جيِّد القريحة. [جمهرة تراجم الفقهاء المالكية. د/ قاسم علي سعد، ٣/١٢٠٨، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م].

(٢) ترتيب المدارك (٧/ ٤٥)، تبيين كذب المفتري (ص١٢٠).

(٣) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السَّبتي، أبو الفضل (٤٧٦ - ٥٤٤هـ = ١٠٨٣- ١١٤٩م) : عالمُ المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته. وَلي قضاءَ سَبْتَة، ومولده فيها، ثم قضاءَ غرناطة، وتوفِّي بمراكش مسموما. من تصانيفه: (الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى)، و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك)، و(شرح صحيح مسلم). [وفيات الأعيان: ٣/ ٤٨٣، سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٢١٢، الأعلام للزركلي: ٥/ ٩٩].

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٩٠- ١٩١.

(٥) موسى بن عيسى بن أبي حجَّاج الغُفْجُوميّ، أبو عمران (٣٦٨ - ٤٣٠هـ = ٩٧٩- ١٠٣٩م) : شيخ المالكية أصله من فاس من بيتٍ يُعرف فيها بـ (بني حجَّاج)، ومسكنه ووفاته بالقيروان. [شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. محمد بن محمد مخلوف، ١/ ١٥٨، علَّق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٥٤٥ -٥٤٦، الأعلام للزركلي: ٧/ ٣٢٦].

(٦) ترتيب المدارك: ٧/ ٤٥.

(٧) عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن اللَّيث، أبو الحسن التميمي (٣١٧ - ٣٧١هـ = ٩٢٩- ٩٨٢م) : أحد فُقَهَاء الْحَنَابِلَة الْأَعْيَان،كَانَ جليل الْقدر، لَهُ كَلَام في مسائل الخلاف، ومصنَّف في الفرائض. [الوافي بالوفيات: ١٨/ ٢٨٦، الأعلام للزركلي: ٤/ ١٦].

(٨) تبيين كذب المفتري (ص٢٢١)، فهرست اللَّبْلي (ص٥٩).

ويقول عنه الذهبي[1]– رحمه الله – : "كان سيفاً على المعتزلة، والرافضة، والمشبِّهة، وغالبُ قواعده على السُّنة، وقد أمر شيخُ الحنابلة، أبو الفضل التميمي، منادياً يقول بين يدي جنازته: هذا ناصِرُ السُّنة والدّين، والذَّابُّ عن الشريعة، هذا الذي صنَّف سبعين ألف ورقة"[2].

ويقول عنه ابن برهان النحوي[3] – رحمه الله – : "مَن سمع مناظرةَ القاضي أبي بكر لم يستلذ بسماعِ كلامِ أحدٍ من المتكلمين، والفقهاء، والخطباء والمترسِّلين، ولا الأغاني أيضاً؛ مِن طِيبِ كلامه، وفصاحته، وحُسْنِ نظامه وإشارته"[4].

ويقول الخطيب البغدادي[5]– رحمه الله – : "كان أعرفَ النَّاس بعلم الكلام، وأحسنهم فيه خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحّهم عبارة"[6].

ويقول ابن تيمية – رحمه الله – : "هو أفضل المتكلِّمين المنتسبين إلى الأشعريّ، ليس فيهم مثلُه، لا قبلَه ولا بعده"[7].

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، أبو عبد الله (٦٧٣ – ٧٤٨هـ = ١٢٧٤– ١٣٤٨م) : حافظ، مؤرخ، تركمانيّ الأصل، مولده ووفاته في دمشق. رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، من تصانيفه: (دول الإسلام)، و(تاريخ الإسلام الكبير)، و(سير أعلام النبلاء)، و(العِبر في خبر مَن غبر)، و(الكبائر)، و(ميزان الاعتدال في نقد الرجال). [سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ٨٣/٣، الأعلام للزركلي: ٥/ ٣٢٦].

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٢٢١)، فهرست اللَّبْلِي (ص٦٠)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٣).

(٣) عبد الواحد بن علي بن برهان العُكْبَري، أبو القاسم (٠٠٠ – ٤٥٦هـ = ٠٠٠ – ١٠٦٤م) : عالم بالأدب والنّسب. من أهل بغداد. كان أوَّلَ أمره منجّما، ثم صار نحويا، وكان حنبليّاً فتحوّل حنفيا، وكان يميل إلى مذهب مرجئة المعتزلة، من كتبه: (الاختيار)، و(أصول اللغة)، و(اللمع). [سير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٢٤– ١٢٥، الأعلام للزركلي: ٤/ ١٧٦].

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٢١٩)، فهرست اللَّبْلِي (ص٥٧).

(٥) أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر، المعروف بالخطيب (٣٩٢ – ٤٦٣هـ = ١٠٠٢ – ١٠٧٢م) : أحد الحفَّاظ المؤرِّخين. مولده في (غزيَّة)، ومنشأه ووفاته ببغداد. من مصنفاته: (تاريخ بغداد)، و(الكفاية في علم الرواية)، و(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)، و(الرحلة في طلب الحديث)، و(الفقيه والمتفقه)، و(اقتضاء العلم والعمل). [وفيات الأعيان: ١/ ٩٢ – ٩٣، سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٧٠– ٢٩٦، الأعلام للزركلي: ١/ ١٧٢].

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٤)، ترتيب المدارك (٧/ ٤٧)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٥٢)، تبيين كذب المفتري (ص٢١٧)، فهرست اللَّبْلِي (ص٥٤)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٧).

(٧) مجموع الفتاوى: ٥/ ٩٨.

ويقول إمام الحرمين الجويني[١]- رحمه الله - : "ما تكلَّمتُ في علم الكلام كلمةً حتَّى حفظتُ من كلام القاضي أبي بكر - وحدَه - اثني عشرة ألف ورقة"[٢].

ويقول أبو بكر الخطيب - رحمه الله - : "سمعتُ أبا بكر الخوارزمي[٣] يقول: كلُّ مصنِّفٍ ببغداد إنما ينقِلُ من كُتُب الناس إلى تصانيفه، سوى القاضي أبي بكر، فإن صَدْرُه يحوِي علمَه وعِلْمَ الناس"[٤].

ويقول أيضا : "حدَّثنا عَلِيُّ بن مُحَمَّدٍ الحَرْبِي[٥] قال: ما صنَّف أحدٌ خلافاً إلاَّ احتاج أن يُطالع كُتُب المخالفين، غير القاضي أبي بكر؛ فإن جميع ما كان يذكر خلاف الناس فيه صنَّفه من حفظه"[٦].

وقال أبو محمد البَافِي : لو أوصى رجل بثُلُث ماله لأفصح الناس، لوجب أن يُدْفَعَ إلى أبي بكر الأشعري[٧].

---

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجُوَيْني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين (٤١٩- ٤٧٨هـ = ١٠٢٨- ١٠٨٥م) : أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعيّ. وُلد في جوين (من نواحي نيسابور)، جاور بمكَّة أربع سنين، وذهب إلى المدينة، فأفتى ودرَّس، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزيرُ نظامُ الملك "المدرسةَ النظامية "، من مصنفاته : (غياث الأمم والتياث الظلم)، و(العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية)، و(نهاية المطلب في دراية المذهب). توفِّي بنيسابور. [سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٤٦٨، الأعلام للزركلي: ٤/ ١٦٠].

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ١٨٥.

(٣) محمد بن العبَّاس الخوارزمي، أبو بكر (٣٢٣- ٣٨٣هـ = ٩٣٥- ٩٩٣م) : من أئمة الكُتَّاب، وأحد الشعراء العلماء. كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب. وهو صاحب (الرسائل) المعروفة برسائل الخوارزمي. وله (ديوان شعر). [سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٥٢٦، الأعلام للزركلي: ٦/ ١٨٣].

(٤) تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦)، ترتيب المدارك (٧/ ٤٧)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٥٣)، تبيين كذب المفتري (ص٢٢٠)، فهرست اللَّبْلِي (ص٥٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/١٩٢).

(٥) علي بن عمر بن محمد ابن القَزْوِيني البغدادي، الحربي، أبو الحسن (٣٦٠ - ٤٤٢هـ = ٩٧٠- ١٠٥٠م) : من علماء الشافعية، قزوينيّ الأصل، بغداديّ المولد والوفاة. يُقال له (الحربي) نسبةً إلى محِلَّة في بغداد. كان من تلاميذ ابن جِنِّي، وكان أحدَ الزُّهاد. [سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٦٠٩- ٦١٣، الأعلام للزركلي: ٤/ ٣١٥].

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦)، ترتيب المدارك (٧/ ٤٧)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٥٣)، تبيين كذب المفتري (ص٢٢٠)، فهرست اللَّبْلِي (ص٥٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/١٩٢).

(٧) المرجع السابق نفسه.

وكان الصاحبُ ابن عبَّاد[1] – رحمه الله – إذا انتهى إلى ذِكر الباقلاني، وابن فُورَك، والإسفراييني، قال لأصحابه: "البَاقِلاَّنِيُّ بحرٌ مُغْرِق، وابن فُوْرَك[2] صِلٌّ مُطْرِق[3]، والإسْفَرَاييني[4] نَارٌ تُحْرِق"[5].

يقول "ابن عساكر"[6] – رحمه الله – مُعلِّقاً على هذا القول: "وكأنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ في رُوعه؛ حيث أخبر عن حال هؤلاء الثلاثة بما هو حقيقة الحال فيهم"[7].

٦– آثاره العلمية:

عُرِف الإمام الباقلانيّ، بكثرة تصانيفه. وقد مرَّ بنا قولُ الإمام أبي الفضل التميميّ شيخ الحنابلة، بأنه "صنَّف سبعين ألف ورقة"، وحَفِظَ إمامُ الحرمين الجويني من تصنيفه في علم الكلام وحده "اثني عشرة

---

(١) إسماعيل بن عبَّاد بن العباس، الصَّاحِب ابن عَبَّاد (٣٢٦– ٣٨٥هـ = ٩٣٨– ٩٩٥م) : وزيرٌ، غلب عليه الأدبُ، فكان من نوادر الدهر عِلما وفضلا وتدبيرا وجودة رأي. ولُقِّب بالصاحب؛ لصحبته مؤيد الدولة مِن صباه. وُلد في الطالقان (من أعمال قزوين)، وتوفي بالري. من مصنفاته: (المحيط)، و(الوزراء)، و(الكشف عن مساوئ شعر المتنبي)، و(الإقناع في العروض وتخريج القوافي). [وفيات الأعيان: ١/ ٢٢٨، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٥١١، الأعلام للزركلي: ١/ ٣١٦].

(٢) محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (٠٠٠– ٤٠٦ هـ = ٠٠٠– ١٠١٥م) : واعظ، عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية. سمع بالبصرة وبغداد. وحدث بنيسابور، وبنى فيها مدرسة. وتوفي على مقربة منها، من تصانيفه: (مشكل الحديث وغريبه)، و(النظامي)، و(الحدود)، و(حل الآيات المتشابهات) [سير أعلام النبلاء، ١٧/ ٢١٤، الأعلام للزركلي: ٦/ ٨٣].

(٣) الصِّلُّ: الحيَّة التي تقتل إذا نهشَتْ من ساعتها، ويُقال للرجل إذا كان دَاهِياً : إنه لَصِلُّ أَصْلاَلٌ، أي حيَّةٌ من الحيَّات. (لسان العرب: ١١/ ٣٨٥).

(٤) إبراهيم بن محمد الإسْفَرَايِيْنِيّ (٠٠٠– ٤١٨هـ = ٠٠٠– ١٠٢٧م) : الأصولي، الشافعي، الملقَّب (رُكن الدِّين)، أحد المجتهدين في عصره، له كتاب (الجامع) في أصول الدين، و(رسالة) في أصول الفقه. وكان ثقة في رواية الحديث. وله مناظرات مع المعتزلة. تُوفي بنيسابور. [سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٣٥٣– ٣٥٤، الأعلام للزركلي: ١/ ٦١]

(٥) التقريب والإرشاد (الصغير). أبو بكر، محمد بن الطيب الباقلاني (٥٢/١)، تحقيق: د/ عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٤)، الوافي بالوفيات (٦/ ٧٠)، طبقات الشافعية الكبرى (٢٥٧/٤).

(٦) علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ابن عساكر (٤٩٩ – ٥٧١هـ = ١١٠٥– ١١٧٦م) : مُحدِّثَ الديار الشامية. مولده ووفاته في دمشق، من تصانيفه: (تاريخ دمشق الكبير)، و(الإشراف على معرفة الأطراف)، و(تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى أبي الحسن الأشعري). [سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٠٥– ٤١٠، الأعلام للزركلي: ٤/ ٢٧٣].

(٧) تبيين كذب المفتري: ص٢٤٤.

ألف ورقة"، ويقول الخطيب البغدادي "كان كلَّ ليلةٍ إذا صلَّى العشاء، وقضى وِرْدَه، وضع الدّواةَ بين يديه، وكتب خمساً وثلاثينَ ورقةً، تصنيفاً من حِفظه ا.هـ"[1].

ومعظمُ آثاره – رحمه الله – في العقائد، والردّ على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، وغيرهم[2].

وقد أحصى منها "القاضي عياض" في (ترتيب المدارك) ما يزيد على خمسين مصنَّفاً، رأيتُ منها مطبوعاً سبعةَ كُتُبٍ، هي:

أ– تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل. المشهور بـ (التمهيد)، ألَّفه لابن (عضد الدولة البويهي)، ووليِّ عهده (صمصام الدولة)، وهو مطبوع بتحقيق: محمود محمد الخضيري، ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، وأخرجته لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة، سنة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م، ونشرته دار الفكر العربي.

ب– الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. والمعروف بـ (رسالة الحرّة)، وهو مطبوع بتحقيق محمد زاهد الكوثري، سنة ١٣٦٩هـ.

جـ– إعجاز القرآن. طُبع في القاهرة على هامش كتاب (الإتقان) للسيوطي، سنة ١٣١٥هـ، وطُبع مرَّةً أُخرى بتحقيق: السيد أحمد صقر، سنة ١٩٥٤م.

د– الانتصار لصحَّة نقل القرآن والردّ على مَن نحله الفساد بزيادة أو نقصان. طُبع بتحقيق د/ محمد سلاَّم، سنة ١٩٧٣م.

هـ – البيان عن الفَرْق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات[3]. طُبع

---

(١) التقريب والإرشاد الصغير (١/ ٩٣)، تاريخ بغداد (٢/ ٤٥٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦)، ترتيب المدارك (٧/ ٤٨)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٥٣)، تبيين كذب المفتري (ص٢٢٠)، فهرست اللَّبْلِي (ص٥٧)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩١)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٤٧)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٧).

(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٤– ٣٦٥)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٥٢)، تبيين كذب المفتري (ص٢١٧)، فهرست اللَّبْلِي (ص٥٧)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠).

(٣) النارنجات: معرّب نِيرَنْكْ، وهو: التمويه والتخييل، وإظهار غرائب الامتزاجات بين القوى الفاعلة والمنفعلة؛ بقصد صدور آثار مطلوبة من الحبّ والبغض، والإقبال والإعراض، وأمثال ذلك، بكتابات مخصوصة. (مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. أحمد بن مصطفى، الشهير بـ (طاش كبرى زاده)، ١/ ٣٤١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م).

بتحقيق الأب اليسوعي ريتشارد يوسف المكارثي، سنة ١٩٥٨م.

و– مناقب الأئمة ونقض المطاعن على سَلَف الأمة. طُبع في بيروت سنة ٢٠٠٢م، بتحقيق د/ سميرة فرحات، دار المنتخب العربي.

ز– التقريب والإرشاد الصغير. طُبع بتحقيق د/ عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م.

أمَّا الكُتُب المخطوطة فهي قُرابة الأربعين، ومنها :

- الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكُفر والضلالة.
- الاستشهاد في الردِّ على أهل الجحد والعناد.
- كشف الأسرار وهَتْك الأستار، في الردِّ على الباطنية.
- هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين.
- الإمامة الكبيرة.
- الإمامة الصغيرة.
- الأصول الصغير.
- الأصول الكبير، في الفقه.
- إكفار المتأولين وحُكم الدار.
- التبصرة.
- التعديل والتجوير.
- دقائق الحقائق.
- شرح أدب الجدل.
- شرح اللمع.
- نقض النقض على الهمذاني.
- المِلل والنِّحل[1].

(١) راجع: ترتيب المدارك (٨/ ١٢٩وما بعدها)، وفيات الأعيان (٢/ ١٥٠)، البداية والنهاية (١٥/ ٥٤٨)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. مصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجي خليفة، (١/ ٨١ ، ١٧٣) و(٢/ ١٤٨٥، ١٨٢١،

٧- وفاته :

تُـوفِّي القاضـي - رحمـه الله - يـوم السـبت، لسـبعٍ بقـين مـن ذي القعـدة، سـنة ثـلاثٍ وأربعمائـة [١٠١٥م] ودُفِن في داره بدربِ المجوس، من نهر طابق، ثم نُقل — بعد ذلك — فدُفن في (مقبرة باب حرب)[١]، (أغدَقَ الله - تعالى - عليه رحمتَه ورضوانَه، وأسكنه فسيحَ جِنانِه).

١٨٤١، ٢٠٤٢)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م، أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون. عبد اللطيف بن محمد رياضي زَادَه، ص ٣١٠، تحقيق: د/ محمد التونجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ١٣٨- ١٣٩)، معجم المؤلفين. عمر بن رضا كحالة، ١٠/١٠٩- ١١٠، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تاريخ التراث العربي. سزكين، مج١، ج٤، ص٤٩-٥١، الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٦).

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٩)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٥٣)، تبيين كذب المفتري (ص٢٢٣)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٥/٩٦)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩)، فهرست اللَّبْلِي (ص٦١)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٤٧)، البداية والنهاية (١٥/٥٥٠). و(بابُ حَرْبٍ): مقبرة خارج بغداد، تُنسب إلى "حرب بن عبد الملك" أحد قوّاد "أبي جعفر المنصور"، وفيها دُفن أحمد بن حنبل، وبشرُ الحافي، وأبو بكر الخطيب، ومَن لا يُحصَى من العلماء والعُبَّاد والصالحين وأعلام المسلمين. (معجم البلدان. أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي، ١/ ٣٠٧، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م).

ثالثا: مواقف بين يدي المناظرة

جرَتْ بين يدي المناظرة أحداثٌ، حَرِيٌّ بنا أن نقف عندها، ونجولَ في مضمونها؛ وذلك لما تضمنته من دروسٍ نافعة، تُنبئ عن ملامح بارزة في شخصية الإمام الباقلاني – رحمه الله –.

الموقف الأول:

لما تهيأ الإمامُ الباقلاني للخروج إلى بلاد الروم، قال له وزيرُ[١] عضد الدولة: هل أخذتَ الطَّالع[٢] لخروجك ؟ فسأله القاضي عن ذلك، ففسَّره له الوزير، فقال الإمام الباقلانيُّ : "لا أقولُ بهذا؛ لأنَّ السَّعد والنَّحس كلَّه، والشرَّ والخير كلَّه بيد الله – عزَّ وجلَّ، ليس للكواكب هاهُنا مثقالُ ذَرَّة من القُدرة، وإنما وُضعت كتبُ المنجِّمين لِيَتَمَعَّش[٣] بها الجاهلون بين العامة، ولا حقيقةَ لها"[٤].

ويُنبِئُ هذا الموقف عن سلامةِ معتقد الإمام الباقلانيّ، وشدَّةِ تَوكّله على الله تعالى.

الموقف الثاني:

لما وصل القاضي إلى بلاد الروم، طُلِب منه أن ينزع عمامته وخُفَّه قبل الدخول على الملك – بهذا جَرَت عادَةُ الملوك، وربما أرادوا بذلك إذلالَه – فأَبَى القاضي أن يصنع ذلك، وقال لهم: "لا أدخلُ إلاَّ بما أنا عليه من الزّي واللباس، فَإِنْ رضيتم وإلاَّ فَخُذوا الكُتُبَ تقرأونها، وأرسلوا بجوابها، وأعودُ به"، فلما أُخبر الملكُ بذلك، قال: أريد معرفةَ سببِ هذا، وامتناعه عمَّا مضى عليه رسمي مع الرُّسُل. فسُئل القاضي عن ذلك، فقال: "أنا رجلٌ من علماء المسلمين، وما تُحبونه مِنَّا ذُلٌّ وصَغَارٌ، واللهُ – تعالى – قد رفعَنَا بالإسلام، وأعزّنا بنبيِّنا محمدٍ – عليه الصلاة والسلام – ومِن شأن الملوك – أيضاً – إذا بعثوا رُسلَهم إلى

---

(١) الوزير المشار إليه هو: أبو القاسم المطهر بن عبد الله. (راجع: نفح الطيب، ٥/ ٢٩٧).

(٢) الطَّالع : الهلال، والفجر الكاذب، والسَّهم الذي يقع وراء الهدف، و(في اصطلاح المنجِّمين أَو الفلكيين): مَا تنبأ به المنجِّمُ من الحوادث، بطلوع كوكب معيَّن. (المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى، وآخرون، ٥٦٢/٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون طبعة أو تاريخ).

(٣) المعشّ: المطلب. (كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٧٤/١، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال). و(المعايش) من (عَاش)، فالميم زائدة، وقيل: من (معشّ) فالميم أصلية. (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ٤٤٠/٢، المكتبة العلمية، بيروت). والمراد: أنهم كانوا يطلبون المعايشَ بالتنجيم.

(٤) ترتيب المدارك (٧/ ٥٨)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٧- ٣٨)، نفح الطيب (٥/ ٢٩٧- ٢٩٨).

مَلكٍ آخر، رَفَع أقدارَهم، لا أذلَّهم، سيَّما إذا كان الرسولُ من أهل العلم"، فعرّف الترجمانُ الملكَ بذلك، فقال: دَعُوه يدخل ومَن معه كما يشاءون[١].

قال القاضي: فدخلتُ عليه بنفيسِ ثيابي، وعمامتي وطَيْلَسَانِي[٢]، فلمَّا وقع بصرُه عليَّ أدنَاني، ورفعني فوقَ الكلِّ، وابتدأَني عن شأنِ كِسوتي، فقلتُ: "بهذا الزّي ندخلُ على مَلِكِنا الأعظم، الذي هو تحت يدي أمير المؤمنين، وأدخل بها على سلطانِنا الأكرم، الذي أَمَرنا اللهُ ورسولُه بطاعته، فما ينكرون عليَّ هذا وأنا رجلٌ من علماء المسلمين، فإن دخلتُ عليك بغير هيأتي، ورجعتُ إلى حُكمك، أَهَنْتُ العلمَ ونفسي، وذهب عند المسلمين جَاهِي"، فقال الملكُ للترجمان: قُلْ له: "قد قَبِلْنَا عُذرَك، ورفعنا منزلتَك، وليس محلُّك عندنا محلّ سائر الرُّسل، وإنما محلّك عندنا محلّ الأبرار الأخيار، وقد أخبَرَنا صاحبُكم في كتابه أنَّك لسانُ المسلمين، والمناظِرُ عنهم، وأنا أشتهي أن أعرف ذلك وأسمعه منك، كما ذكروه عنك"[٣].

وفي هذا الموقف ما يبيّن اعتزازَ القاضي بدِينه، وعدم خضوعه لأعراف النصارى التي لا تُناسِبُ جوهرَ الإسلام وروحَ الشريعة.

الموقف الثالث:

يقول الخطيب البغدادي : لما وصل القاضي إلى مدينة الطَّاغية، وعُرِّف به وبمحلِّه من العلم، أَفْكَرَ[٤] الطَّاغيةُ في أمره، وعلم أنَّه لا يُكَفِّرُ له[٥] إذا دخل عليه، كما جَرَى رسمُ الرعية بين يدي ملوكها، فرأى أن يضع سريره[٦] وراء بابٍ لطيفٍ، لا يمكن أن يدخل أحدٌ منه إلاَّ راكعاً؛ ليدخلَ القاضي من ذلك الباب !! فلمَّا رآه القاضي، تفكّر، وأدار نفسه، وحَنَى رأسَه راكعاً، ودخل من الباب يمشي، مستقبلاً الملكَ بدُبُره، حتى إذا صار بين يديه رفع رأسَه، ونَصَبَ ظهره، ثم أدار وجهه إلى الملك حينئذ!

---

(١) ترتيب المدارك : ٧/ ٦٠.

(٢) الطَّيْلَسَانُ: ضَرْبٌ من الأكسِيَة. (لسان العرب: ٦/ ١٢٥).

(٣) ترتيب المدارك : ٧/ ٦١.

(٤) يقال: فَكَّرَ فِي الشَّيْءِ، وأَفْكَرَ فِيهَ، وتَفَكَّرَ، بِمَعْنًى. (لسان العرب: ٥/ ٦٥)

(٥) التَّكْفِيرُ لأَهل الْكِتَاب: أَن يَنْحَنِيَ الإِنسانُ، ويطأْطئ رأْسه قَرِيباً مِنَ الرُّكُوعِ، كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يُرِيدُ تَعْظِيمَ صَاحِبِهِ. (لسان العرب: ٥/١٥٠).

(٦) السَّرِير: الذي لا يبرح المِلِكُ عليه. (لسان العرب: ١/ ٧٩٢).

فعجب من فطنته، ووقعتْ له الهيبةُ في قلبه[١].

وينبئُ موقف القاضي – رحمه الله – عن فطنته، وحُسن تصرفه، واعتزازه بنفسه، وإبائه الركوع لغير الله تعالى.

الموقف الرابع:

قال القاضي: فلمَّا كان يوم الأحد، بعث الملكُ في طلبي، وقال: مِن شأن الرسول حضور مائدة الملك، فنحبُّ أن تُجيب إلى طعامنا، ولا تنقض كلَّ رُسومِنا. فقلتُ لرسوله : "أنا من علماء المسلمين، ولستُ كالرسل من الجند وغيرهم الذين لا يعرفون ما يجبُ عليهم في هذا الموطن، وأخشى أن يكون على مائدة الملك من لحوم الخنازير، وما حرَّمه الله – تعالى – على رسوله وعلى المسلمين"، فذهب الترجمانُ، وعاد إليّ، وقال: يقول لك الملكُ: "ليس على مائدتي ولا في طعامي شيءٌ تكرهه، وقد استحسنتُ ما أتيتَ به، وما أنت عندنا كسائر الرسل، بل أعظم، وما كرهتَ من لحوم الخنزير إنما هو خارجٌ مِن حضرتي، بيني وبينه حجاب[٢]"، يقول القاضي: "فنهضتُ على كلِّ حال، وجلستُ، وقُدّم الطعامُ، ومددتُ يدي، وأوهمتُ الأكلَ، ولم آكُلْ منه شيئاً، مع أَنِّي لم أرَ على مائدته ما يُكرَه"![٣].

قلتُ: ولو أكل الإمامُ الباقلاني لم يكن ثَمَّةَ حَرَجٍ شرعيٍّ، ولعلَّه آثرَ عدمَ الأكل ردّاً على اختباراتهم المتكررة له، ومحاولاتهم النَّيْل من عزيمته، والإغضاء من مكانته.

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٥)، ترتيب المدارك (٧/ ٦١– ٦٢)، الأنساب للسمعاني (٢/ ٥٣)، تبيين كذب المفتري (ص٢١٨)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٥/ ٩٦)، فهرست اللَّبْلِي (ص٥٥)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩١)، البداية والنهاية (١٥/ ٥٤٨).

(٢) أكْلُ الخنزير محرَّم في جميع الكتب السماوية، تقول التوراة: "وَالْخِنْزِيرُ .... فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ، فَمِنْ لَحْمِهَا لاَ تَأْكُلُوا، وَجُثَثَهَا لاَ تَلْمِسُوا". (الكتاب المقدَّس. الرَّهبانية اليسوعية، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، سفر التثنية : الإصحاح١٤، الفقرة ٨)، وتقول التوراة أيضاً : "وَقُبِضَ عَلَى سَبْعَةِ إِخْوَةٍ مَعَ أُمِّهِمْ، فَأَخَذَ الْمَلِكُ يُكْرِهُهُمْ على تَنَاوُلِ لُحُومِ الْخِنْزِيرِ الْمُحَرَّمَة" [المكابيين الثاني: ٧/ ١].

(٣) ترتيب المدارك : ٧/ ٦٢– ٦٣.

رابعا: نَصّ المناظرة

قال المَلِكُ: هذا الذي تدَّعونه في معجزات نبيِّكم، من انشقاق القمر، كيف هو عندكم؟ قلتُ: هو صحيح عندنا، وانشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ، حتى رأى الناسُ ذلك. وإنما رآه الحضورُ، ومَن اتّفق نظره إليه في تلك الحال. فقال الملك: وكيف لم يره جميع الناس؟! قلتُ: لأنَّ الناس لم يكونوا على أُهبة ووعدٍ لشقوقه وحضوره. فقال: وهذا القمر بينكم وبينه نسبةٌ وقرابة؟ لأيِّ شيءٍ لم تعرفه الرومُ، وغيرها من سائر الناس، وإنما رأيتموه أنتم خاصة ؟! قلتُ: فهذه المائدةُ، بينكم وبينها نِسبة؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود، والمجوس، والبراهمة، وأهل الإلحاد، وخاصة يونان جيرانكم، فإنهم كلَّهم منكرون لهذا الشأن، وأنتم رأيتموها دون غيركم ! فتحيّر الملكُ، وقال بكلامه: سبحان الله.

وأمر بإحضار فلان القسِّيس[1] ليكلمني. وقال: نحن لا نُطيقه؛ لأنَّ صاحبه قال: ما في مملكتي مثله، ولا للمسلمين في عصره مثله. فلم أشعر إذ جاءوا برجلٍ كالذئب، أشقر الشعر مسبِله، فقعد، وحُكيت له المسألة، فقال: الذي قاله المسلم لازم، هو الحقُّ لا أعرف له جواباً إلاَّ ما ذكره. فقلتُ له: أتقول إن الكسوفَ إذا كان يراه جميعُ أهل الأرض، أم يراه أهل الإقليم الذي بمحاذاته؟ قال: لا يراه إلاَّ مَن كان في محاذاته. قلتُ: فما أنكرتَ من انشقاق القمر إذا كان في ناحيةٍ لا يراه إلا أهل تلك الناحية، ومَن تأهب للنظر له، فأمَّا مَن أعرض عنه، وكان في الأمكنة التي لا يُرى القمر منها، فلا يراه. فقال: هو كما قلتَ، ما يدفعك عنه دافع. وإنما الكلام في الرُّواةِ الذين نقلوه. وأمَّا الطعن في غير هذا الوجه فليس بصحيح. فقال الملك: وكيف يُطعَنُ في النقلة؟ فقال النصرانيُّ: شبه هذا من الآيات إذا صحَّ وجب أن ينقله الجَمُّ الغفير إلى الجم الغفير، حتى يتَّصلَ بنا العلم الضروري به، ولو كان كذلك لوقع إلينا العلم الضروري به. فلما لم يقع لنا العلم الضروري به، دلّ أن الخبر مفتعل

---

(١) القِّسيس: من رؤساء النصارى في الدِّين والعلم (لسان العرب: ٦/ ١٧٤)، ويُطلق عليه اسم (الكاهن)، والكهنةُ هم معاونو الأساقفة، ووظيفة القسيس: تقديم القرابين، وتأدية خدمة الأسرار، وتوزيعها على الشعب، وتعليمهم ووعظهم، وتعيين الشمامسة، وتكليفهم بالخدمات. (الكنيسة أسرارها وطقوسها. د/ عادل محمد درويش، ص٥٣٢، سلسلة الرسائل العلمية، دار بلال بن رباح، دار ابن حزم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

باطل. فالتفتَ الملكُ إليّ، وقال: الجواب. قلتُ: يلزمه في نزول المائدة ما يلزمني في انشقاق القمر، ويقال له: لو كان نزول المائدة صحيحاً لوجب أن ينقله العدد الكثير، فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا ثَنَوِيّ إلا ويعلم هذا بالضرورة. ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة، دلّ أن الخبر كذب. فبُهت النصراني والملكُ، ومَن ضمَّه المجلس. وانفض المجلسُ على هذا. ثم رفع رأسَه، ونصب ظهرَه، ثم أدار وجهه إلى الملكِ حينئذٍ، فعَجِبَ مِن فطنته، ووقعت له الهيبةُ في قلبه. قال القاضي: ثم سألني الملكُ في مجلس ثانٍ، فقال: ما تقولون في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ؟ قلتُ: رُوح الله، وكلمته، وعبده، ونبيُّه، ورسوله. كمثل آدمَ، خلقه من تراب، ثم قال له: كن، فيكون. وتلوت عليه النصَّ. فقال: يا مسلم، تقولون: المسيح عبد ؟! فقلتُ: نعم، كذا نقول، وبه نَدِين. قال: ولا تقولون إنَّه ابن الله ؟! قلتُ: معاذ الله، {مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ}[١]، {إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيما}[٢]؛ فإذا جعلتم المسيحَ ابن الله، فمَن أبوه وأخوه وجدُّه وعمّه وخاله ؟! وعددتُ عليه الأقاربَ. فتحيّر، وقال: يا مسلم، العبدُ يخلق، ويحيي، ويميت ويبرئ الأكمه والأبرص؟! قلتُ: لا يقدر العبدُ على ذلك، وإنما ذلك كلُّه مِن فعل الله – عزَّ وجَلّ – قال: وكيف يكون المسيحُ عبداً لله، وَخَلقاً مِن خَلقه، وقد أتى بهذه الآيات، وفعل ذلك كله؟! قلت: معاذ الله، ما أحيى المسيحُ الموتى، ولا أبرأ الأكمه والأبرص. فتحيّر، وقلّ صبرُه، وقال: يا مسلم، تُنكر هذا مع اشتهاره في الخَلق، وأخْذ الناس له بالقبول؟ فقلتُ: ما قال أحدٌ من أهل الفقه والمعرفة إنَّ الأنبياء – عليهم السلام – يفعلون المعجزات مِن ذاتهم. وإنما هو شيء يفعله الله – تعالى – على أيديهم؛ تصديقاً لهم، يجري مجرى الشهادة. فقال: قد حضر عندي جماعة من أولاد نبيّكم، وأهل دينكم المشهورين فيكم، وقالوا، إنَّ ذلك في كتابكم. فقلت: أيها الملك، في كتابنا أنَّ ذلك كلَّه بإذن الله، وتلوتُ عليه منصوصَ القرآن في المسيح {بِإِذْنِ الله}[٣]، وقلتُ: إنما فعل ذلك كلَّه بإذن الله، وحده لا شريك له، لا مِن ذات المسيح. ولو كان المسيح يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص مِن ذاته، لجاز أن يُقال: موسى، فَلَقَ

---

(١) سورة المؤمنون: الآية رقم ٩١.

(٢) سورة الإسراء: الآية رقم ٤٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية رقم ٤٩.

البحر، وأخرج يدَه بيضاء من غير سوءٍ من ذاته. وليست معجزات الأنبياء – عليهم السلام – من ذاتهم وأفعالهم دون إرادة الخالق. فلما لم يجز هذا، لم يجز أن تُسند المعجزات التي ظهرت على يد المسيح إليه. فقال الملك: وسائر الأنبياء كلهم – من آدم إلى مَن بعده – كانوا يتضرّعون للمسيح؛ حتى يَفعل ما يطلبون. قلت: أوَفِي لسانِ اليهود عَظْمٌ، لا يقدرون أن يقولوا إنَّ المسيح كان يتضرّع إلى موسى؟ وكلُّ صاحب نبيٍّ يقول: إنَّ المسيح كان يتضرع إلى نبيِّه، فلا فرقَ بين الموضعين في الدعوى ؟!

قال القاضي – رحمه الله – : ثم تكلمنا في مجلس ثالث، فقلتُ له: أتَّحَدَ اللاهوتُ بالنَّاسوت؟ قال: أراد أن يُنجي الناسَ من الهلاك. قلتُ له: دَرى بأنه يُقتل ويُصلب ويُفعَلُ به كذا، ولم يؤمن به اليهود؟ فإن قلتَ إنه لا يدري ما أراد اليهودُ به، بطل أن يكون إلهاً. وإذا بطل أن يكون إلهاً، بطل أن يكون ابناً، وإن قلتَ قد درى، ودخل في هذا الأمر على بصيرةٍ. فليس بحكيم؛ لأن الحكمة تمنع من التعرض للبلاء. فبُهت. وكان آخر مجلس كان لي معه.

وذكر ابن حيّان[1]، عمَّن حدَّثه أنَّ الطاغية وعد القاضي أبا بكر بالاجتماع معه، في محفلٍ من محافل النصرانية ليومٍ سمّاه، فحضر أبو بكر، وقد احتفل المجلس، وبُولغ في زينته، فأدناه الملك، وألطف سؤاله، وأجلسه على كرسيه دون سريره بقليل، والملك في أُبهته وخاصته، عليه التاج، والذرية، ورجال مملكته على مراتبهم، وجاء البطرك[2] قَيّمُ ديانتهم، وقد أوعد الملكُ إليه في التيقُّظ، وقال له: إنَّ فَنَّاخُسرُو[3] مَلِكَ الفرس – الذي سمعتَ بدهائه وبكرامته – لا ينفذ إلاَّ مَن يشبهه في رحلته

---

(١) حيَّان بن خلف بن حسين بن حيَّان الأموي بالولاء، أبو مروان (٣٧٧- ٤٦٩هـ = ٩٨٧- ١٠٧٦م) : مؤرخ، بحَّاث، من أهل قرطبة. كان صاحبَ لواء التاريخ في الأندلس، من كُتبه: (المقتبس في تاريخ الأندلس)، و(المبين) في تاريخ الأندلس أيضا، وكتاب في (تراجم الصحابة). [سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٣٧٠ – ٣٧٢، الأعلام للزركلي: ٢/ ٢٨٩].

(٢) البَطْرَك: لفظة يونانية، وصحّتها (باتربارشيس) مركَّبة من (باتريَا) أي العشيرة، (شيس) أي الرئيس، فيكون معناها (رئيس العشيرة)، والبطرق: رئيس الأساقفة. وهو لقبٌ على القائم بأمور دين النصرانية، والمسؤول الدِّيني الأوَّل في كل قُطر بأكمله، والبطارقةُ في خمسِ مدن، أربعة في المشرق، وواحد في المغرب: الإسكندرية، والقسطنطينية، وأنطاكية، وبيت المقدس، وروما. (الكنيسة أسرارها وطقوسها: ص٥٢٧ بتصرف).

(٣) يقصد : فَنَّاخُسْرُو (عَضُد الدولة) ابن السلطان حسن بن بُوَيْه الدَّيْلَمِي (رُكن الدولة) : تملَّكَ العِرَاقَ خَمْسَةَ أَعوامٍ ونصفاً، كَانَ شِيْعِيّاً جَلِداً، أظهر بـ (النَّجف) قَبْراً، زَعَمَ أَنَّهُ قَبْرُ (الإِمَامِ عَلِيٍّ)، وَبَنَى عَلَيْهِ المِشْهَدَ، وَأَقَامَ شعَارَ الرَّفْضِ، وَمأْتَم عَاشُورَاءَ،

وحيلته، فتحفظ منه، وأظهِر دينك؛ فلعلك تتعلق منه بسقطة، أو تعثر منه على زَلَّةٍ، تقضي بفضلنا عليه. فجاء البطرك قَيِّمُ الديانة، ووليُّ النِّحلة، فسلَّم القاضي عليه أحفل سلام، وسأله أحفى سؤال، وقال له: كيف الأهل والولد؟ فعَظُم قوله هذا عليه، وعلى جميعهم، وتغيروا له، وصلَّبوا[(١)] على وجوههم، وأنكروا قولَ أبي بكر عليه، فقال: يا هؤلاء تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصاحبة والولد، وتَرْبُونَ به عن ذلك، ولا تستعظمونه لربِّكم – عزّ وجهه – فتضيفون ذلك إليه؟ سوأةً لهذا الرأي، ما أبين غلطُه. فسُقط في أيديهم، ولم يردوا جواباً، وتداخلتهم له هيبة عظيمة، وانكسروا.

وفي مجلس قال طاغيةُ الرّوم، قاصداً توبيخ القاضي: أَخْبَرِنِي عَن قصَّة عَائِشَة زوج نَبِيكُم، وَمَا قيل فِيهَا. فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي أَبُو بكر: هما اثْنَتَانِ قيل فيهمَا مَا قيل: زوجُ نبيِّنا، وَمَرْيَم بنت عمران، فَأَمَّا زوجُ نبيِّنا فَلم تَلد، وَأما مَرْيَم فَجَاءَت بِولد تحمله على كتفها، وكلٌ قد برأه اللَّه مِمَّا رمي به. فَانْقَطع الطاغية وَلم يحر جَوَابا [(٢)].

وَكَانَ شُجَاعاً، مَهِيْباً، نَحْوِيّاً، أَديباً، عَالِماً، جبَّاراً، عَسُوْفاً، شَدِيدَ الوطأَةِ، صَائِبَ الفرَاسَة. مَاتَ فِي شَوَّالٍ سنَةَ (٣٧٢هـ) بِبَغْدَادَ، وَدُفِنَ بِمشهدِ النَّجف. [سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٢٤٩ – ٢٥١].

(١) التَّصليب: حركة يقوم بها المسيحيُّ؛ تأكيداً لإيمانه بصَلْبِ المسيح – بزعمهم – فيلمس بيده على التوالي جبهتَه، وصدره، وكتفيه، فيرسم هكذا على نفسه في الظاهر صورةَ الصليب. (قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم. د/ صلاح قنصوه، وآخرون، ص٣٤٩، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م).

(٢) ترتيب المدارك (٧/ ٦٣ –٦٨)، فهرست اللبلي (ص٥٦)، تبيين كذب المفتري (ص٢١٨– ٢١٩)، سير أعلام النبلاء (١٧/١٩١– ١٩٢)، عيون المناظرات (ص٢٤٧– ٢٤٨)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٨– ٤٠)، البداية والنهاية (١٥/٥٤٩).

خامسا: مصادر المناظرة

أورد المؤرخون، وأصحابُ التراجم والطبقات أجزاء مبعثرة من المناظرة، وذلك في مواطن متفرِّقة من كُتبهم.. كلٌّ يذكرُ ما وقع بين يديه وما وصل إليه من أخبارها.

وأهمُّ المصادر التي أحاطت بتفاصيل المناظرة، ثلاثة هي بحسب أهميتها :

١- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. للقاضي عياض بن موسى السبتيّ (ت: ٥٤٤هـ).

٢- المرقبة العُليَا فيمَن يستحق القضاءَ والفُتيا، المسمَّى بـ (تاريخ قضاة الأندلس) لأبي الحسن، علي بن عبد الله النُّبَاهِي (ت: ٧٩٢هـ).

٣- عُيُون المناظرات، لأبي عليّ، عمر السّكونيّ (ت: ٧١٧هـ).

أمَّا الكتب التي ذكرت أجزاء متناثرة من المناظرة، فهي :

١- تاريخ بغداد. لأبي بكر، أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ).

٢- تبيين كذب المفتري فيما نُسِبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. أبي القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ).

٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

٤- الكامل في التاريخ. لأبي الحسن، علي بن أبي الكرم الشيباني، ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ).

٥- فهرست اللَّبْلِي. لأبي الحجاج، أحمد بن يوسف الفهري (ت: ٦٩١هـ).

٦- سِيَر أعلام النبلاء، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الذَّهبي (ت: ٧٤٨هـ).

٧- البداية والنهاية، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ).

سادسا: سبب المناظرة

عاصر الإمامُ الباقلانيّ (الدولةَ العبَّاسية)[١] في فترة نفوذِ (البُويهيين)[٢]، وإحكام سيطرتهم على مقاليد الحُكم فيها[٣].

وقد اتَّسمت هذه الحِقبة من تاريخ العبَّاسيين بضعف شأن الخلافة، وهوانِ سلطانها؛ وذلك لأسبابٍ على رأسها: ظهور الحركات الثورية الرَّامية إلى الانفصال عن دولة الخلافة، وازدياد نفوذ الفرس والأتراك فيها، ناهيك عن غزوات الروم التي باتت تُلاحق دولة الخلافة بين الحين والآخر، إلاَّ أنَّ هذا الاضطراب والانقسام بين الأقطار الإسلامية لم يُضعفْ من النهضة الثقافية والفكرية، فقد حرص الملوك والأمراء على تقريب العلماء، والاحتفاء بهم[٤].

وفي عهد (عَضُد الدولة البويهي)[٥] شهدت الحياة العلمية ازدهارًا واسعًا، حيث قرَّب إليه العلماءَ،

---

(١) قامت الخلافة العبَّاسية (١٣٢– ٦٥٦هـ) على أنقاض الخلافة الأموية (٤١– ١٣٢هـ)، وقد سمِّيت الدولةُ العباسية بهذا الاسم؛ نسبة إلى العبَّاس عمَّ رسول الله ﷺ. ومؤسس هذه الدولة، وخليفتها الأوَّل هو (عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب)، المعروف بـ (أبي العباس السفَّاح). (راجع التفصيل في: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، الشيخ محمد الخضري بك، تحقيق: الشيخ محمد العثماني، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

(٢) دولة شيعية، فارسية الأصل، هاجرت من بلاد (الدَّيْلم) المنطقة المجاورة لبحر قزوين، وتُنسب هذه الأسرة إلى (بويه) الذي كان يتعيّش من صيد الأسماك. أشهر رجالها أبناء (بويه) الثلاثة: عليّ، والحسن، وأحمد. وكان علو شأنها على يد الأخ الأكبر علي بن بويه؛ الذي استطاع بفضل مقدرته العسكرية والإدارية من بناء جيش قويّ انتزع به معظم بلاد فارس، واتخذ شيراز قاعدة لحكمه. وبعدها سيطر البويهيون على أصفهان والري وهمذان والكرج وكرمان والأهواز، وتمكنوا من دخول بغداد (عام ٣٣٤هـ – ٩٤٥م)، وفي زمنهم نما المذهب الشيعي، وفي سنة (٤٤٧هـ – ١٠٥٥م) نجح السلاجقة في دخول بغداد، وإسقاط دولة بني بويه. (راجع: البويهيون في فارس (دراسة في الأحوال السياسية والفكرية)، د/ علي حسن غضبان، ص١١٩وما بعدها، دار ومكتبة عدنان، بغداد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، ص٤١٦ وما بعدها).

(٣) سُمِّي العصر العباسي الثالث بـ (عصر نفوذ البويهيين)، وتمتد هذه المرحلة من (٣٣٤– ٤٤٧هـ = ٩٤٦ – ١٠٥٥م) أي مدة ثلاث عشرة ومائة سنة، وتعاقب في هذه المدة أربعةُ خلفاء من بني العبَّاس، هم: المطيع لله، والطائع لله، والقادر بالله، والقائم بأمر الله. (تاريخ الدولة العباسية. د/محمد سهيل طقّوش، ص٢٢٠، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م).

(٤) راجع التفصيل في: الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي. إعداد: رشاد عباس مغنوق. دكتوراة، قسم الدراسات العليا الحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(٥) سبق التعريف به.

"وأجرى الجرايات على الفقهاءِ، والمحدِّثين، والمتكلِّمين، والمفسِّرين، والنُّحاة، والشعراءِ، والنَّسابين، والأطباءِ، والحُسَّاب، والمهندسين"[١].

وعنه يقول صاحب كتاب (يتيمة الدَّهر) : "كان عَلَى ما مُكِّن له في الأرض، وجُعل إليه من أزمَّة البَسْطِ والقَبْضِ، وخُصَّ به من رفْعَةِ الشأن، وأوتيَ مِن سَعَةِ السّلطان، يتفرَّغُ للأدب، ويتشاغَلُ بالكُتُب، ويُؤْثِرُ مجالسة الأدباء على مُنادمة الأمراء ا.هـ"[٢].

وفي هذه الأجواء العلميَّة لمع نجمُ الإمام الباقلاني، فقرَّبه (عَضُد الدَّولة)؛ لما رأى فيه من حضور الذِّهن، وجودة الفكر، وصواب الرأي. وفي أواخر عهده وجَّهه إلى مَلِك الروم الأعظم، الإمبراطور "باسيليوس الثاني"[٣]، "واختصَّه بذلك؛ ليُظهر رِفْعةَ الإسلام، ويغضَّ من النَّصرانية"[٤].

وعن الأحداث والملابسات التي سبقت هذه السفارة، يذكر المؤرِّخون أنَّه لما مات "أرمانوس" مَلِكُ الروم، وقام بعده ابناه "باسيل"، و"قسطنطين"، افترقت كلمة الروم، وطمع كبار القادة في الملك، وكان ممَّن طمع فيه "السَّقلاروس" المعروف بـ (وَرْدٍ الرُّومِيّ)[٥]، الذي أعلن الحرب على الأخوَيْن، لكنهما هزماه، فالتجأ إلى (عَضُد الدولة)؛ يستحميه ويستنصره، فلما علم الأخَوان بذلك أرسلا مِن قِبلهما (نَقْفُور)[٦] إلى (عضد الدولة)؛ ليُفسدا على (وَرْدٍ) خطَّته، ويعرضا على الملك أن يسلّم إليهما (ورداً)

---

(١) الكامل في التاريخ. أبو الحسن، علي بن أبي الكرم الشيباني، المعروف بـ (ابن الأثير)، ٣٨٧/٧، راجعه وصحَّحه: د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) يتمة الدَّهر في محاسن أهل العصر. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي، ٢/ ٢٥، تحقيق: د/ مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) التقريب والإرشاد الصغير (١/ ١٣) من التحقيق. و(باسليوس الثاني): امبراطور بيزنطي (٩٦٠ — ١٠٢٥م)، تُوِّج وهو طفل لم يتجاوز عمرُه السنتين، وطَّد دعائم الحُكم في الداخل، وخاض حروباً متواصلة خلال خمسين عاما تقريباً، قَاتَلَ البلغار (٩٨٦ — ١٠١٨م)، وضمَّ بلادهم إلى إمبراطوريته. (معجم أعلام المورد. منير البعلبكي، ص٩١، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م).

(٤) ترتيب المدارك (٧/ ٥٧- ٥٨)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٧).

(٥) هو "ورد بن منير" المعروف بـ (ورد الرومي)، من أكابر أصحاب الجيوش، وعظماء البطارقة. (الكامل في التاريخ: ٧/ ٣٨٦).

(٦) هو نَقْفُور فوقاس : إمبراطور بيزنطي، أقامه "أرمانوس" ملكُ الروم، (دمستقا)، واسم الدمستق — عندهم - على مَن يَلِي شرقي الخليج، وبعد هلاك (أرمانوس) اجتمع إلى (نقفور) زعماءُ الروم، وقدَّموه لتدبير أمر ولدي الملك الصَّغيرين، وألبسوه التاج. قُتِل سنة ٣٦٠هـ . [تاريخ ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ٢/ ٢٧٤- ٢٧٥ بتصرف، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م].

نظيرَ إطلاق سراح جميع أسرى المسلمين في بلاد الروم، فمال (عضُد الدولة) إلى ذلك، لكنه احتال في تسليم (وَرْد)، ووعد الرسولَ خيراً، وأخرج معه الإمام (الباقلانيّ) بجواب الرسالة.

وأراد (عضُد الدولة) بذلك أن تكون هذه الرسالة السياسية مدعومة برسالةٍ دينيةٍ، يتولاَّها القاضي بنفسه؛ حتى يُناظر النَّصارى، ويُطلعهم على خَلَلِ دينِهم، وضعْف حُجَّتهم، واضطراب عقيدتهم، وكان ذلك سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة[١]، وقيل: سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة[٢].

---

(١) راجع التفصيل في: تجارب الأمم وتعاقب الهمم. أبو علي، أحمد بن محمد بن مسكويه، ٧/ ٢٢ – ٢٣، تحقيق: أبو القاسم إمامي. سروش، طهران، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، تاريخ الأنطاكي. يحيى بن سعيد الأنطاكي، ص٢٠٧، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م، الكامل في التاريخ (٧/ ٣٨٦)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ٢٧٤- ٢٧٥).

(٢) راجع: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ٧/ ٣٩.

المبحث الأول

معجزة انشقاق القمر لنبينا محمد ﷺ

بدأت وقائعُ المناظرة بسؤالٍ وجَّهه مَلِكُ الرُّوم إلى الإمام الباقلانيّ، حول انشقاق القمر، وثبوت ذلك عند المسلمين. والذي يظهر من سؤالِ الملك إنكارُه لهذه المعجزة النبوية؛ حيث قال: "هذا الذي تدَّعُونه في معجزاتِ نبيِّكم، من انشقاق القمر، كيف هو عندكم ؟ ".

فأجاب القاضي بثبوتِ تلك المعجزة، وصحَّةِ وقوعها، قائلاً: "هو صحيحٌ عندنا، انشق القمرُ على عهد رسول الله ﷺ، حتَّى رأى الناسُ ذلك" ا.هـ [1].

وسوف يتمُّ تناول هذه المعجزة من خلال المطالب الآتية :

---

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦٣)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٨).

المطلب الأول
ثُبوت انشقاق القمر

يقول الإمام الخطَّابيّ[1] : "انشقاق القمر آيةٌ عظيمةٌ، لا يكادُ يعدِلها شيءٌ من آيات الأنبياء؛ وذلك أنَّه ظهر في ملكوت السماء، خارجاً من جملةِ طباعِ ما في هذا العالَمِ المركّب من الطبائع، فليس مما يُطمع في الوصولِ إليه بحيلةٍ، فلذلك صار البرهانُ به أظهر"[2].

وقد نصَّ القرآنُ الكريم، وكذا السُّنة المطهّرة، على انشقاقِ القمر، كمعجزةٍ خاصَّةٍ بنبيّنا محمدٍ ﷺ. وهَاكَ حديثَ القرآن والسُّنة عنها :

أولا: انشقاق القمر في القرآن الكريم

أخبر القرآنُ الكريمُ بانشقاق القمر، وذلك في قوله تعالى: {**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**}[3].

يقول الطبري[4] – رحمه الله – : قوله تعالى:{**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ**} أي: دَنَت السَّاعةُ التي تقومُ فيها القيامةُ، وهذا إنذارٌ من الله — تعالى – لعبادِه بدنوّ القيامة، وأمْرٌ لهم بالاستعداد لأهوالها، وقوله:

---

(١) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستيّ، أبو سليمان (٣١٩ – ٣٨٨هـ = ٩٣١ – ٩٩٨م) : فقيه محدّث، من أهل بست (من بلاد كابُل)، له: (معالم السُّنن)، (بيان إعجاز القرآن)، و(إصلاح غلط المحدِّثين)، و(غريب الحديث)، و(شرح البخاري) باسم (تفسير أحاديث الجامع الصحيح للبخاريّ)، توفي في بست. [طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٢٨٢، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٦، الأعلام للزركلي: ٢/ ٢٧٣].

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري. أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٧/ ١٨٥، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، ١٦/ ١٦٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) سورة القمر: الآيتان رقم ١، ٢.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤– ٣١٠هـ = ٨٣٩– ٩٢٣م): المؤرّخ المفسِّر الإمام. وُلد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد، وتُوفي بها. له: (أخبار الرسل والملوك)، و(جامع البيان في تفسير القرآن)، و(اختلاف الفقهاء)، و(المسترشد) في علوم الدين. [وفيات الأعيان: ٤/ ١٩١، سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٢٦٧، الأعلام للزركلي: ٦/ ٦٩].

{**وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**} أي: انفلق القمر، وكان ذلك – فيما ذُكِرَ – على عهد رسول الله ﷺ، وهو بمكَّة، قبل هجرته إلى المدينة[١]، وذلك أنَّ كفَّار أهلِ مكَّة سألوه آيةً، فأراهم ﷺ انشقاقَ القمر، آيةً على صِدْقِ قوله، وحقيقةِ نبوَّتِه، فلمَّا أراهم أعرضوا، وكذَّبوا، وقالوا: سَحَر محمَّدٌ القمرَ، حتَّى انشقَّ[٢].

ثانيا: انشقاق القمر في السُّنة النبوية

يقول ابنُ عبد البرّ [٣] – رحمه الله – : رَوَى حديثَ انشقاقِ القمرِ جماعةٌ كثيرةٌ من الصَّحابة[٤] – رضي الله عنهم – وَرَوَى ذلك عنهم أمثالُهم مِن التَّابعين، ثم نَقَلَهُ عنهم الجَمُّ الغفيرُ، إلى أن انتهَى إلينا[٥].

ومن الأحاديث النبوية في انشقاق القمر:

١– عن ابن مسعود ﷺ قال: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ[٦]، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اشْهَدُوا"[٧].

٢– وعنه ﷺ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِنىً[٨] إِذِ انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ[١]، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ

---

(١) كان انشقاقُ القمر قبل الهجرة النبوية بنحو خمس سنين. (راجع: فتح الباري لابن حجر: ٦/ ٦٣٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، ٢٧/ ٨٤ بتصرف، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٣) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر (٣٦٨– ٤٦٣هـ = ٩٧٨– ١٠٧١م) : من كبار حُفَّاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحَّاثة. وُلد بقرطبة، وتوفي بشاطبة. من مصنفاته: (العقل والعقلاء)، و(الاستيعاب)، و(جامع بيان العلم وفضله). [وفيات الأعيان: ٧/ ٦٦، سير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٥٣، الأعلام للزركلي، ٨/ ٢٤٠].

(٤) ذكر أبو بكر الجصَّاص – رحمه الله – : أنَّ انشقاق القمر رواه عشرة من الصحابة. (أحكام القرآن. أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، ٥/ ٢٩٨، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).

(٥) نقلا عن: فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٨٦) بتصرف يسير.

(٦) هو جبل حراء، على يسَار السَّائر من مَكَّة إلى مِنَى. (فتح الباري لابن حجر: ٧/ ١٨٣)

(٧) قوله ﷺ: (اشهدوا) أي: على نبوَّتي أو معجزتي، من (الشهادة)، وقيل: معناه: احضروا وانظروا، من (الشهود). (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. أبو العلا، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، ٣٤٢/٦، دار الكتب العلمية، بيروت)، والحديث في: صحيح الإمام البخاري. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب: تفسير القرآن، باب: (وَانْشَقَّ القَمَرُ)، ٥/ ٤٩.

(٨) مِنى: بالكسر، الوادي الذي ينزله الحاج، ويرمي فيه الجمارَ من الحَرَم، سُمّي بذلك لما يُمْنَى به من الدِّماء، أي يُراق. (معجم البلدان: ١٩٨/٥).

وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اشْهَدُوا"(٢).

٣- وعنه ﷺ قال: "خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: الدُّخَانُ، وَالقَمَرُ، وَالرُّومُ، وَالبَطْشَةُ، وَاللِّزَامُ"(٣).

٤- وعن أنس ﷺ قال: "سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ"(٤).

وفي روايةٍ عنه قال: "... فَأَرَاهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاء بَيْنَهُمَا"(٥).

٥- وعن ابن عمر(٦)- رضي الله عنهما – قال: انْفَلَقَ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اشْهَدُوا"(٧).

---

(١) الفَلْق: القطعة والشَّق. ووَجْهُ عُلوِّ فلقة، وتَسَفُّلِ أُخرى: التَّنبيه الشديد على حصول الانشقاق. (المفاتيح في شرح المصابيح. الحسين بن محمود بن الحسن، المشهورُ بـ (المظهري)، ٦/ ١٧٦، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ).

(٢) صحيح الإمام مسلم: كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، ٤/ ٢١٥٨.

(٣) (الدُّخَان): السَّنَة التي أصابت أهلَ مكَّة بدعوته ﷺ حتى أكلوا الميتة. (مصابيح الجامع، محمد بن أبي بكر بن عمر، المعروف بالدماميني، ٨/ ٣٣٥، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، وقيل: آيةُ الدخان لم تمض بعد (راجع: فتح الباري لابن حجر، ٨/ ٥٧٢)، (والرُّومُ): ظهور الرّوم على فارس، (والبَطْشَة): القتل الذي وقع يوم بدر، (واللِّزَامُ) قيل: القحط، وقيل: التصاق القتلى بعضهم ببعض في بدر، وقيل: هو الأَسْر فيه. (عمدة القاري: ١٩/ ٩٨). والحديث أخرجه الإمام البخاريُّ، في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً)، ٦/١٠، باب (يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ)، ٦/ ١٣٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: الدُّخَان، ٤/ ٢١٥٧.

(٤) صحيح الإمام البخاري: كتاب: تفسير القرآن، باب: (وَانْشَقَّ القَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا)، ٦/ ١٤٢، كتاب: المَنَاقِبِ، باب: سُؤَالِ المشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ آيَةً، فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ القَمَر، ٤/ ٢٠٦.

(٥) صحيح الإمام البخاري: كتاب: مناقب الأنصار، باب: انْشِقَاقِ القَمَر، ٥/ ٤٩.

(٦) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن (١٠ ق هـ - ٧٣هـ = ٦١٣ - ٦٩٢م): صحابي. أسلم مع أبيه، وهاجر، أجازه النبي ﷺ يوم الخندق، وشهد فتح مكة. ومولده ووفاته فيها. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة. وغزا إفريقية، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا. [وفيات الأعيان: ٣/ ٢٨-٣١، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٠٣، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١٥٥، الأعلام للزركلي: ٤/ ١٠٨].

(٧) سُنن الترمذي. أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، أبواب الفتن، باب: مَا جَاءَ فِي انْشِقَاقِ القَمَر، ٤/ ٤٧٧، وقال أبو عيسى: "وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

٦- وعن ابن عبَّاس[(١)] - رضي اللهُ عنهما - أَنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ عَلَى زَمَانِ رَسُولِ الله ﷺ [(٢)].

٧- وعن عليٍّ بن أبي طالب[(٣)] ﷺ قال: انْشَقَّ الْقَمَرُ، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ [(٤)].

٨- وعن جبير بن مُطْعِم[(٥)] ﷺ قال: انْشَقَّ الْقَمَرُ، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ [(٦)].

٩- وعَنْ حذيفة بن اليمان[(١)] - رضي الله عنهما - قال: إِنَّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ:

---

(١) عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (٣ ق هـ - ٦٨هـ = ٦١٩ - ٦٨٧م) : حَبر الأمة، الصحابي الجليل. وُلد بمكة. ولازم رسول الله ﷺ ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع عليٍّ الجملَ وصِفِّين. وكفَّ بصرُه في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفِّي بها. له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا. [سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٣١-٣٥٩، الأعلام للزركلي: ٤/ ٩٥].

(٢) صحيح الإمام البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر، ٥/ ٤٩، صحيح الإمام مسلم: كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: انْشِقَاقِ الْقَمَرِ، ٤/ ٢١٥٩.

(٣) عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي، أبو الحسن (٢٣ ق هـ - ٤٠هـ = ٦٠٠- ٦٦١م) : ابن عمّ النبي ﷺ ، وصِهره على ابنته فاطمة. وُلد قبل البعثة بعشر سنين، فربّي في حِجر النبيّ ﷺ ، وشهد معه المشاهدَ إلاَّ تبوك، وهو رابع الخلفاء الراشدين. قُتل ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر. [سير أعلام النبلاء: راشدون/ ٢٢٥، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ٤٦٤- ٤٦٨].

(٤) شرح مشكل الآثار. أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلمة، المعروف بـ (الطحاوي)، ٢/ ١٧٧، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٤٩٤م، باب: بيان مشكل ما روي في انشقاق القمر في زمن رسول الله ﷺ ، ٢/ ١٧٧.

(٥) جبير بن مُطعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أبو عديّ (٠٠٠ - ٥٩ هـ = ٠٠٠ - ٦٧٩ م) : من أكابر قريش وعلماء النّسب. قدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر، فقال له ﷺ : « لو كان أبوك حيّا، وكلّمني فيهم لوهبتهم له»، وكان موصوفاً بالحِلم، ونُبل الرأي كأبيه، أسلم جبيرُ بين الحديبيّة والفتح، وقيل في الفتح، ومات في خلافة معاوية. [سير أعلام النبلاء: ٣/٩٥- ٩٩، الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٥٧٠ — ٥٧١، الأعلام للزركلي: ٢/ ١١٢].

(٦) المعجم الكبير. أبو القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، ٢/ ١٣٢، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، المستدرك على الصحيحين. أبو عبد الله، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة القمر، ٢/ ٥١٣، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، بلفظ: "انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى صَارَ فِرْقَتَيْنِ، عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، وَعَلَى هَذَا الْجَبَلِ. فَقَالَ النَّاسُ: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنْ كَانَ سَحَرَكُمْ فَلَمْ يَسْحَرِ النَّاسَ كلهم" ، جماع أبواب المبعث، بَاب: سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، ٢/ ٢٦٨.

{**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**}[٢]، أَلا وَإِنَّ السَّاعَةَ قَدِ اقْتَرَبَتْ، أَلا وَإِنَّ الْقَمَرَ قَدِ انْشَقَّ[٣].

---

(١) حذيفة بن حِسل بن جابر العبسيّ، أبو عبد الله (٠٠٠ - ٣٦هـ = ٠٠٠ - ٦٥٦م) : من كبار الصحابة، وصاحبُ سِرِّ رسول الله ﷺ. وُلد بالمدينة، وأسلم هو وأبوه، وأرادا شهودَ (بدرٍ) فصدّهما المشركون، وشهدا (أُحدا)، فاستُشهد (اليمانُ) بها، وشهد حذيفةُ الخندقَ، وما بعدها. استعمله عمرُ عَلَى المدائن، فلم يزل بها حتى مات. له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثاً. [سير أعلام النبلاء: ٢/٣٦١ - ٣٦٩، الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٣٩- ٤٠، الأعلام للزركلي: ٢/ ١٧١].

(٢) سورة القمر: الآية رقم ١.

(٣) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، كتاب: الزهد، كَلامُ حُذَيْفَةَ ﷺ، ٧/ ١٣٩، المستدرك على الصحيحين: كتاب العلم، ٤/٦٥١، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاه" اهـ، شرح مشكل الآثار: باب: بيان مشكل ما رُوي في انشقاق القمر في زمن رسول الله ﷺ ، ٢/ ١٨١، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. أبو محمد، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، كتاب: التَّوْبَة والزهد والتَّرْغِيب فِي التَّوْبَة والمبادرة بهَا وإتباع السَّيئَة الْحَسَنَة، ٤/ ١٢٤.

المطلب الثاني
موقف علماء المسلمين من انشقاق القمر

انشقاقُ القمر على عهد رسول الله ﷺ هو قول جميعِ المفسِّرين[١]، و"الجمهور من السَّلف والخَلَف"[٢].

و"ذهب (أبو بكر الأصم[٣])[٤]، و(عطاء[٥]) [٦]، و(الحسن[١]) [٢] إلى أنَّ المراد بقوله – تعالى –

(١) راجع: تفسير الماتريدي (٩/ ٤٤١)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد. أبو الحسن، علي بن أحمد الواحدي، ٢٠٧/٤، تحقيق: عادل عبد الموجود، وآخرون، قدَّمه وقرَّظه: د/ عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، زاد المسير في علم التفسير. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ٨/ ٨٨، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، تفسير الرازي (٢٩/ ٢٨٨)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أبو العباس، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بـ (السمين الحلبي)، ١٠/ ١١٩، تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري)، الحسن بن محمد القمي النيسابوري، ٢١٦/٦، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢) فتح القدير. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ٥/ ١٤٤، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٣) عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم (٠٠٠ – نحو ٢٢٥هـ = ٠٠٠ – نحو ٨٤٠م) : فقيه معتزلي مفسِّر، له: تفسير، و(خَلق القرآن)، (الحُجَّة والرسل)، و(الرد على الملحدة)، و(الرد على المجوس)، و(افتراق الأمة). [سير أعلام النبلاء: ٩/ ٤٠٢، الأعلام للزركلي: ٣/ ٣٢٣].

(٤) راجع: تفسير الماتريدي، ٩/ ٤٤١.

(٥) عطاء بن أبي رباح، المكيّ القرشي مولاهم، أبو محمد (٢٧– ١١٤هـ = ٦٤٧– ٧٣٢م) : من سادات التابعين فقهاً، وعلماً، وورعاً، وفضلاً. انتهت إليه فتوى أهل مكة، وكان ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول لأهل مكة إذا جلسوا إليه: "تجتمعون إليَّ يا أهلَ مكة وعندكم عطاء؟!". [وفيات الأعيان: ٣/ ٢٦١ – ٢٦٣، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٧٨–٨٨، الأعلام للزركلي: ٤/ ٢٣٥].

(٦) راجع: زاد المسير لابن الجوزي (٨/ ٨٨)، تفسير أبي السعود (١٦٧/٨)، تفسير القرآن. أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، ٣٠٧/٥، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

: {**وانْشَـقَّ القَمَـرُ**} أي: سينشـقّ، كمـا قـال – تعـالى – : {**أَتَى أَمْرُ اللهِ**}[٣] أي: سيأتي، والنُّكتَةُ في ذلك: إرادةُ المبالغة في تحقّق وقوع ذلك، فنزل منزلةَ الواقع[٤].

وهذا قول شاذ، ولا يقاوِمُ الإجماعَ؛ للآتي :

أولا: أنَّ قوله تعالى: {**وانشقَّ القَمَرُ**} لفظ ماض، وحَمْلُ لفظِ الماضي على المستقبل يفتقِرُ إلى قرينةٍ تنقله ودليلٍ، وليس ذلك موجوداً[٥].

ثانيا: أن قوله تعالى: {**وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**}[٦] ناطقٌ بوقوعِ الانشقاق، وأنَّهم قد شاهدوه؛ والإعراضُ الحقيقيُّ عن الآياتِ لا يُتصوَّرُ قبل وقوعها[٧].

ثالثا: جعل الله – تعالى – الانشقاق آيةً لرسوله ﷺ، ولو كانت مجرَّد علامةٍ للقيامة لم يكن معجزةً له، كما لم يكن خروجُ دابةِ الأرض، وطلوعُ الشمس من مغربها، وغيرهما معجزات له ﷺ [٨].

---

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (٢١ – ١١٠هـ = ٦٤٢ – ٧٢٨م) : تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحَبْرَ الأمة في زمنه. وُلد بالمدينة، وشبَّ في كَنَفِ عليّ بن أبي طالب. قال الغزالي: كان الحسنُ أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وله مع الحجَّاج مواقف. [وفيات الأعيان: ٢/ ٦٩ – ٧٣، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٣ – ٥٨٨، الأعلام للزركلي: ٢/٢٢٦].

(٢) راجع: فتح القدير للشوكاني، ٥/ ١٤٥.

(٣) سورة النحل: الآية رقم ١.

(٤) فتح الباري لابن حجر: ٧/ ١٨٦.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي: ٤/ ١٩٧.

(٦) سورة القمر: الآية رقم ٢.

(٧) تفسير السمعاني (٥/٣٠٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٨/ ٨٨)، تفسير أبي السعود (٨/ ١٦٧).

(٨) تفسير النيسابوري : ٦/ ٢١٦.

المطلب الثالث

اعتراضات المُناظر، وجواب الإمام الباقلانيّ عليها

جَرَت بين يدي المناظرة اعتراضاتٌ ورودٌ حول انشقاق القمر، يمكن عرضها في الآتي:

الاعتراض الأوّل :

قدَّم الملِكُ اعتراضه الأول على وقوع الانشقاق، بأنَّه لو وقع لرآه جميعُ النَّاس[1].

جواب الإمام الباقلاني:

أجاب الإمامُ الباقلانيُّ، على هذا الاعتراض بأجوبةٍ ثلاثةٍ:

الجواب الأول: اختلافُ أحوال الناس وقت الانشقاق، وأنهم لم يكونوا - جميعاً - على أُهْبَةِ الاستعداد لانشقاقه، ومِن ثَمَّ وقعت الرؤيةُ لمِن حضره منهم، ومَن اتَّفق نظرُه إلى القمر في تلك اللحظة[2].

وهو اعتراض جيِّد؛ للآتي:

١- أن الانشقاق كان آيةً مخصوصةً لأهلِ مكَّة، وقد جاءت بعد طلبهم، فلم يتنبَّه غيرُهم لها[3].

٢- أنَّ الانشقاق كان ليلاً[4]، والليلُ وقتُ الغفلةِ والنَّوم والسُّكون عن المشي والتردد في الطُّرُق، فلا يكاد يعرف من أمور السماء شيئاً إلاَّ مَن انتظره واعتَنَى به، وقد يقع بالمشاهدة - في العادة - أن ينكسِف القمرُ، وتبدو الكواكبُ العِظامُ، وغير ذلك في الليل، ولا يشاهدها إلا الآحاد، فكذلك الانشقاق[5].

---

(١) راجع: ترتيب المدارك (٧/ ٦٣).

(٢) راجع: ترتيب المدارك (٧/ ٦٣)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٨).

(٣) راجع: تفسير الطبري (٢٧/ ٨٤)، صحيح الإمام البخاري، كتاب: المناقب، باب: سُؤَالِ المُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ القَمَرِ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٤/١٧)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٨٥).

(٤) راجع: فتح الباري لابن حجر، ٧/ ١٨٥.

(٥) راجع: المفهِم لما أَشكل من تلخيص كتاب مسلم. أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، ٤٠٤/٧، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرون، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٤٤)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٨٥).

الجواب الثاني: اختلاف مطالع القمر

بادر الإمامُ الباقلانيُّ، إلى سؤال القِسِّيس الذي أُحْضِرَ لمناظرته، قائلاً: أتقولُ إنَّ الخسوفَ إذا كان يراه جميعُ أهلِ الأرض؟ أمْ يراهُ أهلُ الإقليمِ الذى بمحاذاته؟!

أجاب القسيسُ: لا يراه إلاَّ مَن كانَ بمُحاذاته.

قال الإمام الباقلانيُّ: فما أنكرتَ من انشقاق القمر إذا كان في ناحيةٍ لا يراه إلا أهلُ تلك الناحية، ومَن تأهَّب للنظرِ له، فأمَّا مَن أعرض عنه، أو كان في الأمكنة التي لا يُرى القمرُ منها، فلا يراه.

فسلَّم له القسيسُ، قائلاً : "كما قلتَ، لا يدفعُك عنه دافعٌ"[(١)].

ولقد أحسن الإمامُ فيما أجاب، وأجاد، وبمثل هذا قال العلماء[(٢)].

وهناك أجوبة أخرى، لا تَقِلُّ أهميةً عمَّا ذكره الإمام الباقلاني، ومنها :

١- أن الانشقاق ما كان ممتداً إلى زمان كثير، فما كان للناظر أن يذهب إلى الغير، الذي هو بعيد عنه وينبهه، أو يوقظ النائمَ ويُريه[(٣)].

٢- ومن حِكم الله البالغة أنَّ معجزاتِ النبي ﷺ لم يبلغ شيءٌ منها مبلغ التواتر الذي لا نزاعَ فيه، إلاَّ القرآن الكريم؛ وذلك لأنَّ من سُننِ الله في الأُمم قبلَنا أنّ نبيَّهم كان إذا أتى بآية يدركها الحسُّ، حتى يشترك فيها العامةُ والخاصَّةُ، ثم لم يؤمنوا، استُئْصِلوا جميعاً بالهلاك، كما قال تعالى في المائدة: **{إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ}**[(٤)]، والنبيُّ ﷺ بُعِثَ رحمةً، فلم يُظهر اللهُ – سبحانه – هذه الآيةَ للعامَّة لهذه الحكمة[(٥)].

٣- أنَّ أهل مكَّةَ، الذين شاهدوا الانشقاقَ، لم يقُلْ أحدٌ منهم – قطُّ – إنَّ القمر لم ينشق، بل

---

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦٤)، عيون المناظرات (ص٢٤٨)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٨).

(٢) راجع: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي، ص٣٤٩- ٣٥٠، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٤٤)، فتح الباري لابن حجر: (١٨٥/٧).

(٣) راجع: المفهِم لما أَشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤٠٤/٧)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٨٥).

(٤) سورة المائدة: الآية رقم ١١٥.

(٥) فتح الباري لابن حجر: ٧/ ١٨٥.

غاية ما قالوه: {**سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**}[١] أي" ذاهبٌ، وقيل: باطلٌ، مضمحِل لا دوامَ له"[٢]، أي أنَّهم أوَّلوا الحادثةَ، ولم يُنكروها.

وإمعاناً منهم في المِراء أرسلوا إلى الآفاق؛ يسألون عن الانشقاق، فجاءتهم الإجابةُ بوقوعه ومشاهدته. يقول ابنُ مسعودٍ ﷺ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[٣]، قَالَ: فَقَالُوا: انْتَظَرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ[٤]؛ فَإِنَّ مُحَمَّداً لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ، قَالَ، فَجَاءَ السُّفَّارُ، فَقَالُوا قد رأيناه[٥].

٤- وفوق هذا جاءت الأخبارُ برؤية الانشقاق في بعض البلاد:

يقول ابنُ كثير[٦] – رحمه الله –: "ذكر غيرُ واحدٍ من المسافرين، أنَّهم شاهدوا هيكلاً[٧] بالهند مكتوباً عليه: إنه بُني في الليلة التي انشقَّ القمرُ فيها"[٨].

---

(١) سورة القمر: الآية رقم ٢.

(٢) تفسير ابن كثير : ٤/٢٦٤.

(٣) يعنون به رسول الله ﷺ، و(أبو كبشة) إمَّا أن يكون أبوه ﷺ من الرّضاعة؛ لأنَّ زوجَ مرضعته حليمة كنيته أبو كبشة، واسمه الحارث بن عبد العزى. وإمَّا أن يكون جدّه ﷺ لأُمِّه؛ لأنَّ (وهب بن عبد مناف) والدَ أمِّه كان يُكنَى بأبي كبشة، وإمَّا أن يكون رجل من (خزاعة) كان يعبد نجم (الشِّعْرى)، ولم يوافقه أحدٌ من العرب في عبادتها، فشبّهوا النبيَّ ﷺ به؛ لمخالفته إيَّاهم في دِينهم، كما خالفهم أبو كبشة. (شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢/ ١١٠)، شرح مشكل الآثار (٢/ ١٨٥).

(٤) أي: المسافرون. (راجع: الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري، ٢٨/٣، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية).

(٥) مسند الطيالسي. أبو داود، سليمان بن داود الطيالسي، ٢٣٦/١، تحقيق: د/ محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، دلائل النبوة (٢٦٦/٢)، تفسير ابن كثير (٢٦٣/٤)، البداية والنهاية (٣٠٠/٤ – ٣٠١، ٥٦٢/٨).

(٦) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبو الفداء (٧٠١ – ٧٧٤هـ = ١٣٠٢– ١٣٧٣م) : حافظ مؤرّخ فقيه. وُلد في قرية من أعمال بصرى الشام، وتوفي بدمشق. من كتبه: (البداية والنهاية)، و(تفسير القرآن الكريم)، و(اختصار علوم الحديث)، و(الفصول في اختصار سيرة الرسول). [الأعلام للزركلي: ١/ ٣٢٠].

(٧) الهَيْكَلُ: الْبِنَاءُ المشرف. والهَيْكَلُ: بيت الأَصنام. (لسان العرب: ١١/ ٧٠١).

(٨) البداية والنهاية: ٨/ ٥٦٤.

"وفي المقالة الحادية عشر من "تاريخ فرشته"[١] أنَّ أهل مَلِيبَار[٢] من إقليم الهند رأوه أيضاً، وأسلم والِي تلك الديار[٣]، التي كانت من مجوس الهندِ، بعدما تحقَّق له الأمر"[٤].

وقال الحليمي[٥] – رحمه الله – عند ردِّه على مَن قال بأن الانشقاق يوم القيامة: "قد وقع الانشقاقُ في عصرنا، فشاهدتُ الهلالَ بـ (بُخَارَى)[٦] في الليلة الثالثة، منشقّاً نصفين، عرض كلِّ واحدٍ منهما كعرض القمر ليلةَ أربع أو خمس، ثم اتَّصلا، فصار في شكلِ أترُجَّة، إلى أن غاب. قال: وأخبرني بعضُ مَن أثِقُ به أنه شاهد ذلك في ليلةٍ أُخرى"[٧].

الجواب الثالث: المعارضة بقصَّة المائدة

سأل الملِكُ قائلاً : وهذا القمر، بينكم وبينه نِسبة أو قَرابة؟! لأيِّ شيءٍ لم تعرفْهُ الرومُ، وغيرُها من سائر الناس، وإنَّما رأيتموه أنتم خاصة؟!

---

(١) فرشته: هو محمد بن قاسم هندوشاه الاسترابادي، نزيل الهند، الملقَّب بـ (فرشته)، تُوفي في حدود سنة ١٠١٨هـ، صنَّف بالفارسية (كلشن إبراهيم)، المشتهر بـ (تاريخ فرشته)، ووصل فيه إلى وقائع سنة ١٠١٨هـ. (هدية العارفين أسماء في المؤلفين وآثار المصنِّفين، إسماعيل باشا البغدادي، ٢/ ٢٦٨، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥١م).

(٢) مَلِيبار: منطقة في جنوب الهند، تقع بين غاتس الغربية، وبحر العرب. (ويكيبيديا الموسوعة الحرّة).

(٣) يقول الطالب محمد ضياء الرحمن الأعظمي: "قد ثبتت هذه المعجزة في الهند حين وقوعها، فإن (السَّامري) مَلِك مليبار، رأى شقَّ القمر بنفسه، وأمر بتسجيل هذه الحادثة في سجلِّه الرسمي، فسافر من الهند، وقابل النبي ﷺ في المدينة، ومات في الطريق عند رجوعه إلى الهند". (ندوة للطلبة بعنوان: دراسات في الديانات الهندية (٣)، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ٤، السنة ٢، ربيع الثاني، ١٣٩٠هـ، ص١١٨).

(٤) إظهار الحق. محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي، ٤/ ١٠٣٩، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

(٥) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، أبو عبد الله (٣٣٨– ٤٠٣هـ = ٩٥٠– ١٠١٢م) : فقيه شافعيّ، قاض. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. مولده بجرجان، ووفاته في بخارى. له (المنهاج). [وفيات الأعيان: ٢/ ١٣٧، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٣١، الأعلام للزركلي: ٢/ ٢٣٥].

(٦) بُخَارى: مدينة بقُرب جمهورية (أوزبكستان) السوفيتية، تقوم فيها صناعة السجاد التركي والحرير، ينتمي إليها الإمام البخاري، رحمه الله. (الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، ص٣٣١، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٥م).

(٧) نقلا عن: فتح الباري لابن حجر، ٧/ ١٨٦.

وأجاب الإمام الباقلانيُّ، قائلاً: "فهذه المائدةُ، بينكم وبينها نِسبة ؟! وأنتم رأيتموها دون اليهود، والمجوس، والبراهمة، وأهل الالحاد، وخاصَّة يونان جيرانكم، فإنَّهم كلَّهم منكرون لهذا الشأن، وأنتم رأيتموها دُونَ غيركم؟!"، فتحيَّر الملك[١].

ويستفادُ من السؤال والجواب: تسليم النَّصارى بقصَّة المائدة، وإقرارهم بوقوعها؛ حيث قَبِلُوا معارضةَ الإمام الباقلانيّ بها على انشقاق القمر.

فما قصَّةُ المائدة؟ وما هو حديثُ القرآن عنها ؟ وهل أشارت إليها مصادر النصارى أم لا ؟

والجوابُ في النقاط التالية:

١– قصَّة المائدة في القرآن الكريم :

ورد ذِكْرُ "المائدة" في القرآن الكريم، في سورةٍ سُمِّيتْ باسمها، يقول تعالى: {**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ**}[٢]

وقد جاء في التفسير: أنَّ الحواريين – وهم المخلصون الأصفياء من أتباع عيسى عليه السلام [٣]– طلبوا منه أن يسأل ربَّه أن يُنزِّلَ عليهم مائدةً من السماء، والمائدةُ هي الخُوانُ عليه الطَّعامُ[٤]، وجمهورُ العلماءِ متَّفقون على أنَّ الحواريين كانوا مخلصين في إيمانهم، وأنَّ سؤالَهم هذا لم يكن عن شكٍّ في قدرة الله – تعالى – بل لزيادة الإيمان واليقين[٥]، وقد علَّلوا طلَبهم بقولهم: {**نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها**} أَيْ: نَحْنُ مُحْتَاجُونَ

---

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦٣)، عيون المناظرات (ص٢٤٧)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٨).

(٢) سورة المائدة: الآيات ١١٢– ١١٥.

(٣) راجع: تفسير الطبري، ٣/ ٢٨٧.

(٤) لسان العرب: ٣/ ٤١١.

(٥) راجع: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي). أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ١٠١/٢، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)،

إِلَى الأَكْلِ مِنْهَا، {**وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا**} إِذَا شَاهَدْنَا نُزُولَهَا، رِزْقاً لَنَا مِنَ السَّمَاء،{**وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا**} أَيْ: وَنَزْدَادَ إِيمَاناً بِك، {**وَنَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ**} أي: ونشهدُ أنَّها الآيةُ مِنْ عِنْدِ الله، وَدَلالَةٌ عَلَى نُبُوَّتِكَ، وَصِدْقِ مَا جِئْتَ بِهِ. عندئذ سألَ عيسى عليه السلام ربَّه، قائلا: {**اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لأَوَّلِنا وَآخِرِنا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**}، فأجابه اللهُ قائلا: {**إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ**} أَيْ: مِن عالمي زمانِكم[1].

وقد اختلف المفسرون حول نزول المائدة :

فذهب الجمهور منهم إلى القول بنزولها[2].

وقال آخرون: لم يُنزِل اللهُ على "بني إسرائيل" مائدةً، ثم اختلفوا، فقال مجاهد: إنما هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ – تعالى – لخَلْقه؛ نهاهم به عن مسألةِ نبيِّ الله الآيات، وقال الحسنُ: إنَّ القوم لما قيل لهم {**فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ**} استعفوا منها، فلم تنزل[3].

والصواب ما عليه الجمهور؛ لأنَّ الله – تعالى – أخبر في كتابه عن إجابة عيسى عليه السلام حين سأله ما سأله من ذلك، فقال تعالى: {**إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ**}، وغيرُ جائزٍ أن يقول – تعالى ذِكْرُه – إِنِّي منزلها

عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، ٢/ ٢٦٠، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن، ٢/ ٩١، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، البحر المحيط في التفسير. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، ٤/ ٤٠٩، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(١) تفسير ابن كثير : ٢/ ١١٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٠) بتصرف، وراجع أيضا: تفسير الطبري (٧/ ١٣٣)، تفسير القرآن للسمعاني (٨١/٢)، تفسير القرطبي (٣٦٨/٦)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ٤٨٥/١، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدَّم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، تفسير البحر المحيط (٤١٤/٤)

(٣) راجع: تفسير الطبري (٧/ ١٣٥)، تفسير القرآن للسمعاني (٨٠/٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٤٦١).

عليكم، ثم لا ينزِّلها؛ لأنَّ ذلك منه – تعالى – خبر، ولا يكون منه خلاف ما يُخبِر[١].

٢– قصَّة المائدة في الإنجيل :

تفتقر الأناجيلُ، وسائر أجزاء "العهد الجديد"[٢] إلى قصّة المائدة، ولا يعني ذلك عدم ثبوتها؛ للأسباب الآتية :

أ– عدم استقرار نصّ "العهد الجديد" حتَّى يومنا هذا، فإننا نتلقى الطبعات النقدية له من حينٍ لآخر، تُضيف إحداها ما كان محذوفاً، أو تحذف ما كان موجوداً؛ بناءً على دراساتٍ نقديَّةٍ قويةٍ، كُنَّا محرومين منها من قبل[٣].

ب– أخبر – تعالى – عن أهل الكتاب أنَّهم {**نَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**}[٤]، وذكر القرآنُ الكريم أموراً عن عيسى عليه السلام لا وجودَ لها في كُتب النصارى، ومنها كلامه عليه السلام في المهد، فإنَّ ذلك من أظهر معجزاته التي ذكرها القرآن، قال تعالى: {**إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ**}[٥]، وبعد ولادته عليه السلام تحقَّقت بشارةُ الله لأُمِّهِ، فتكلم المسيحُ في المهد، وذلك قوله تعالى: {**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً**

---

(١) تفسير الطبري : ٧/ ١٣٥.

(٢) العهد الجديد: الأسفار التي اعتمدها النَّصارى، واعتقدوا أنها مقدَّسة، أي مُوحَى بها من الله، وعددُها سبعة وعشرون سِفراً، أطلقوا عليها "العهد الجديد"؛ للمقابلة بينها وبين ما اعتُمِد من أسفار اليهود المقدَّسة، التي أطلقوا عليها اسم "العهد القديم". (الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة للإسلام. د/ علي عبد الواحد وافي، ص٦٣، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).

(٣) للأمثلة ومزيد من التفصيل، انظر: أثر خلاف أريوس على نصّ العهد الجديد. د/ تامر محمد متولي، حولية كلية الدعوة الإسلامية، القاهرة، العدد السابع والعشرين، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

(٤) سورة المائدة: الآية رقم ١٣.

(٥) سورة آل عمران: الآيتان رقم ٤٥، ٤٦.

* وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً}[١].

فهذه المعجزة الظاهرة في القرآن الكريم لم تَرِد في الأناجيل، ومع ذلك لم يقل أحدٌ بعدم وقوعها، وكذلك المائدة قد عُلم – يقيناً – من القرآن الكريم أنَّها نزلت، فلا يكون للقول بأنها لم تنزل – استناداً إلى عدم ورود خبرها لدى النصارى – وَجْهٌ مقبول. وما جاء في مناظرة الإمام الباقلاني للنَّصارى، وتعريضه بأمرِ المائدة، وتسليمهم له، خيرُ دليلٍ على معرفة النصارى بأمرها، وتصديقهم بوقوعها.

جـ- يقول إنجيل يوحنَّا : "وآياتٌ أُخَرَ كثيرةٌ صنع يسوعُ قُدَّام تلاميذه، لم تُكتَبْ في هذا الكتاب"[٢]، فهذا النصُّ صريحٌ في أنَّ الكثير من معجزات المسيح عليه السلام لم تُدوَّن في الإنجيل، ولا يُستَبعَد أن تكون قِصَّةُ المائدةِ واحدةً منها.

د- هذا وقد اعتمد الأستاذ/ عبد الوهاب النجار[٣]، على رواية "إنجيل متَّى" التي أطعم فيها المسيحُ آلافاً من الناس بقليلٍ من الطعام، وترجَّح عنده أنها المائدة التي ذُكرت في القرآن[٤].

يقول إنجيل متَّى: "وعندما حلَّ المساءُ، اقترب التلاميذُ إليه، وقالوا: هذا المكان مُقفِرٌ، وقد فاتَ الوقت، فاصْرِفِ الجموع؛ ليذهبوا إلى القرى، ويشتروا طعاماً لأنفسهم، ولكنَّ يسوع قال لهم: لا حاجةَ لهم أن يذهبوا، أعطوهم أنتم ليأكلوا، فقالوا: ليس عندنا هنا سوى خمسة أرغفة وسمكتين، فقال: أحضروها إليَّ هنا، وأمر الجموع أن يجلسوا على العُشب، ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره إلى السماء، وبارك، وكسر الأرغفة، وأعطاها للتلاميذ، فوزَّعوها على الجموعِ، فأكل الجميع، وشبعوا، ثم رفع التلاميذُ اثنتي عشرة قُفَّةً ملأوها بما فضل من الكِسر، وكان عدد الآكلين نحو خمسة آلاف رجل، عدا النساء والأولاد"[٥].

---

(١) سورة مريم: الآيات ٢٧ – ٣٤.

(٢) يوحنَّا : ٢/ ٣٠.

(٣) "مدرس التاريخ الإسلامي بكليَّة أصول الدين، وناظر مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا (سابقا)". كما هو مكتوبٌ على غلاف كتابه المسمَّى بـ (قصص الأنبياء).

(٤) قصص الأنبياء. عبد الوهاب النجار، هامش ص٤١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

(٥) متّى: ١٤/ ١٥- ٢١.

الاعتراض الثاني:

وجَّه القسيسُ – هذه المرَّة – طعنَه إلى الرواة الذين نقلوا خبرَ الانشقاق، قائلاً: "شِبه هذا من الآيات إذا صحَّ، وَجَبَ أن ينقله الجَمُّ الغفيرُ؛ حتى يتَّصِلَ بنا العِلمُ الضروريّ به، ولما لم نعلم ذلك بالضرورة، دلَّ على أنَّ الخبر مُفتَعَلٌ باطل"(١).

جواب الإمام الباقلاني :

أجاب الإمامُ الباقلانيّ، معارضا إيَّاه بقصة المائدة، قائلاً: "يلزمك في نزول المائدة ما يلزمني في انشقاق القمر، ويُقال: لو كان نزولُ المائدة صحيحاً لوجب أن ينقله العدد الكثير، فلا يبقى يهوديٌّ، ولا نصرانيٌّ، ولا وثَنِيٌّ ، إلاَّ ويعلم هذا بالضرورة، ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة، دَلَّ على أنَّ الخبر مكذوب"، فبُهِتَ القسيسُ، والملكُ، ومَن ضمَّه المجلس(٢).

قلتُ: سبق القول بأنَّ أحاديث الانشقاق تواترتْ عن جَمْعٍ غفيرٍ من الصَّحابة – رضي الله عنهم – بل إنَّ هذه المعجزة أخذت من الشُّهرة والتواتر ما يَنْأَى بها عن التشكيك فيها :

– يقول أبو منصور الماتريدي(٣) : "رُوي [أي الانشقاق] عن غيرِ واحدٍ من الصَّحابة، وتواترَ الحديثُ عن الخاصّ والعام، وفشَا الأمرُ بينهم، حتى قَلَّ مَن يخفى عليه سماعُ هذا الحديث"(٤).

– ويقول ابن عبد البرّ (ت: ٤٦٣هـ): "رَوى حديثَ انشقاق القمرِ جماعةٌ كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالُهم من التابعين، ثم نقلَهُ عنهم الجمُّ الغفيرُ، إلى أن انتهى إلينا"(٥).

– ويقول القاضي عِياض: "أمَّا انشقاق القمر، فالقرآن نصَّ بوقوعه، وأخبر عن وجوده، ولا يُعدَل

---

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦٤)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٨).

(٢) ترتيب المدارك (٧/ ٦٤– ٦٥)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٨، ٣٩).

(٣) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (٠٠٠ – ٣٣٣هـ = ٠٠٠ – ٩٤٤م) : من أئمة علماء الكلام. نِسبته إلى ماتريد (محِلَّة بسمرقند)، من مصنفاته: (التوحيد)، و (أوهام المعتزلة)، و (الرد على القرامطة)، و (مآخذ الشرائع)، (الجدل)، و(تأويلات القرآن)، و(تأويلات أهل السنة). مات بسمرقند. [سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ٣/ ٢٥٥، الأعلام للزركلي: ١٩/٧].

(٤) تفسير الماتريدي: ٩/ ٤٤١.

(٥) نظم المتناثر من الحديث المتواتر. أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الشهير بـ (الكتاني)، ص٢١٢، تحقيق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، الطبعة الثانية، وراجع أيضا: فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٨٦).

عن ظاهرٍ إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيحُ الأخبار، من طُرق كثيرة"[١].

– ويقول القرطبي : "روى هذا الحديثَ جماعةٌ كثيرةٌ من الصحابة ......، ورَوى ذلك عن الصحابة أمثالُهم من التابعين، ثم كذلك ينقله الجمُّ الغفيرُ، والعددُ الكثيرُ، إلى أن انتهى ذلك إلينا، وفاضت أنوارُه علينا، وانضاف إلى ذلك ما جاء من ذلك في القرآن المتواتر عند كلِّ إنسان، فقد حصل بهذه المعجزة العلمُ اليقيني، الذي لا يشكّ فيه أحدٌ من العاقلين"[٢].

– ويقول التاج ابنُ السُّبكي[٣] : الصحيحُ عندي أنَّ انشقاق القمر متواترٌ، منصوصٌ عليه في القرآن، مَرْوِيٌّ في الصحيحين وغيرهما، من طُرق شتَّى، بحيث لا يمترى في تواتره[٤].

– ويقول ابن كثير : "وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات"[٥].

– ويقول ابن حجر[٦] – رحمه الله – : "حنينُ الجِذْع، وانشقاقُ القمر، نُقِل كلٌّ منهما نَقْلاً

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى. أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي، ١/ ٤٩٥، دار الفيحاء، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(٢) المفهِم لما أَشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٧/ ٤٠٣.

(٣) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر (٧٢٧ – ٧٧١هـ = ١٣٢٧– ١٣٧٠م) : قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث. مولده بالقاهرة، ووفاته بدمشق. انتهى إليه قضاء في الشام. من تصانيفه: (طبقات الشافعية الكبرى)، و(معيد النِّعم ومبيد النقم)، و(الأشباه والنظائر)، و(الطبقات الوسطى)، و(الطبقات الصغرى). [طبقات الشافعية. أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي، ابن قاضي شهبة، ٣/ ١٠٤– ١٠٦، تحقيق: د/ الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، الأعلام للزركلي: ٤/ ١٨٤].

(٤) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، عبد الوهاب بن علي السبكي، ٢/ ٣٢٢– ٣٢٥ بتصرف، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٦٢.

(٦) أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر (٧٧٣ – ٨٥٢هـ = ١٣٧٢– ١٤٤٩م) : من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين)، ومولده ووفاته بالقاهرة. من تصانيفه: (لسان الميزان)، و(تقريب التهذيب)، و(الإصابة في تمييز الصحابة)، و(تهذيب التهذيب)، و(فتح الباري في شرح صحيح البخاري). [نظم العقيان في أعيان الأعيان. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ص٤٥، تحقيق: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، الأعلام للزركلي: ١/ ١٧٨].

مستفيضاً، يُفيدُ القَطْعَ عند مَن يطّلع على طُرق ذلك من أئمةِ الحديثِ، دون غيرِهم ممَّن لا ممارسةَ له في ذلك"[١].

- ويقول القسطلاني[٢] - رحمه الله - : "وقد جاءت أحاديثُ الانشقاقِ في رواياتٍ صحيحةٍ، عن جماعةٍ من الصحابة، منهم: أنس، وابن مسعود، وابن عباس، وعليّ، وحذيفة، وجبير، وابن عمر، وغيرهم"[٣].

وبعد، فإنَّ انشقاق القمر لنبيّنا محمدٍ ﷺ إحدى معجزاته الكِبار، التي نصَّ عليها القرآنُ، وثبتت بالتواتر عن جَمْع غفيرٍ من صحابته - رضي الله عنهم -، ومِن ثَمَّ فكلُّ محاولةٍ لإنكارها، وإثارة الشكوك حولها، عَبَثٌ لا طائلَ من ورائه، {**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**}[٤].

---

(١) فتح الباري لابن حجر: ٦/ ٥٩٢.

(٢) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، أبو العباس، شهاب الدين (٨٥١ - ٩٢٣هـ = ١٤٤٨ - ١٥١٧م) : من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. من مصنفاته : (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، و(المواهب اللدنيَّة في المنح المحمدية)، و(لطائف الإشارات في علم القراءات)، و(شرح البُردة). [سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ١/ ١٩٧، الأعلام للزركلي: ١/٢٣٢].

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. أحمد بن محمد القسطلاني، ٢/ ٢٥٤، المكتبة التوفيقية، بدون طبعة أو تاريخ.

(٤) سورة الصف: الآية رقم ٨.

المبحث الثاني

طبيعة المسيح عيسى عليه السلام

تعدُّ طبيعة المسيح عليه السلام أهمّ وأعقد القضايا في أصول الدين المسيحي، وقد دار حولها جدلٌ قديم، وانعقدت بسببها مجامع، واتُّخذت قرارات[1].

لقد عاش المسيحُ عليه السلام بين تلامذته نبيّاً، كغيره من أنبياءِ الله.. يأكل، ويشرب، ويدعو إلى ربّه، ويكابدُ في دعوته، وما عرف هؤلاء التلاميذُ غيرَ ذلك، وبانقضاء هذا الجيل انحرفت النصرانية عن هذا المسار، ونظرت إلى المسيح على أنَّه (ابن الله)، الذي كان إلهاً فتجسَّد، ونزل لعالَمِ البشر؛ لخلاصهم، وأثَّرت عوامل سياسية وثقافية واجتماعية لصالح هذا الاتجاه الوثني في شخصية المسيح، فساد وانتشر، وشيئاً فشيئاً صار هو الأصل، وصارت مخالفتُه هَرْطَقَةً[2].

وفي المقابل وُجِد معارضون، قالوا ببشرية المسيح، ولم يكن هذا التيارُ في قوَّة الأوَّل، لكنه استمر تياراً موجوداً، له أنصارُه وأتباعُه[3].

وفي هذا المبحث عَرْضٌ لهذه القضية، من خلال مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى، وذلك في المطالب الآتية:

---

(١) كان الخلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام سببا في انقسام الكنيسة في منتصف القرن الخامس (٤٥١م). (طبيعة المسيح. البابا شنوده الثالث، ص٥، الطبعة الخامسة، فبراير ١٩٩٥م).

(٢) التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسَيْن بولس ويوحنَّا. سعد رستم، ص٢١- ٢٣ بتصرف، صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

(٣) مِن الفِرق التي ظهرت في القرون الثلاثة الأولى للمسيحية منكرةً التثليثَ وألوهية المسيح: "الآريوسيون" أتباع آريوس الأسكندري، "الأبيونيون"، "الموناركيانيون" أتباع بولس الشمشاطي، "الغنوصيون"، "الباسيليديون"، "الكاربوقراطيون". (الفِرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم. سعد رستم، ص٢٢، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م)، وراجع أيضا: عيسى المسيح والتوحيد: عرض تاريخي للمسيحية والأناجيل والموحدين المسيحيين الأوائل والأواخر. محمد عطا الرحيم، ترجمة: عادل حامد محمد، مركز الحضارة العربية، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون. لواء/ أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

المطلب الأول

عقيدة بنوَّة المسيح لله تعالى

يُعَدُّ الاعتقاد ببنوَّة المسيح لله – تعالى – ركيزة أساس في المسيحية الحالية، ويظهر ذلك من السؤال الذي وجَّهه مَلكُ الروم إلى الإمام الباقلاني، قائلاً له: "يا مسلمُ، تقولون المسيح عَبْدٌ؟ "، فأجاب القاضي: "نعم، كذا نقولُ، وبه نَدِين"، قال الملكُ: "ولا تقولونَ إنَّه ابنُ اللهِ ؟!"، أجاب القاضي: معاذَ اللهِ **{مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ}**[١]، **{إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيما}**[٢] "[٣].

وقد صِيغت هذه العقيدة ضمن ما يُسمَّى بـ (دستور الإيمان النيقاوي)، الذي تمخَّض عنه (مجمع نِيقِيَّة، سنة ٣٢٥م)، وفيه: "نؤمن بإلهٍ واحد، آب ضابط الكُلّ، خالق كلِّ شيء، مَا يُرى وما لا يُرَى، وبربٍّ واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب، ومن جوهر الآب، إلهٌ من إله، نورٌ من نور، إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كلُّ شيء ما في السماءِ وما على الأرض، ...."[٤].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية رقم ٩١.

(٢) سورة الإسراء: الآية رقم ٤٠.

(٣) تاريخ قضاة الأندلس: ص٣٩.

(٤) مجموعة الشرع الكنسي (قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة)، جمع وترجمة وتنسيق: الأرشمندريت: حنانيا إلياس كسَّاب، مع توطئة لغبطة البطريرك: إلياس الرابع، ص٤١، مطبعة النور، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

المطلب الثاني
أدلَّة المناظر على بنوَّة المسيح لله تعالى

كانت معجزات المسيح، باباً نفذت منه دعوى المغالاة في شخصه ﷺ، فما دام يشفي المرضى، ويحيي الموتى، فهو الله، أو هو ابن الله، أتى من السماء، ونزل إلى الأرض؛ ليعرض على الناس قدرات الآلهة[١].

وفيما يلي نموذج لهذا الخرف الفكري، يُبديه لنا ملك النصارى بحضرة لسان الأمة الإمام أبي بكر الباقلاني.. لقد استدل الملكُ على عقيدته في بنوة المسيح لله، بدليلين :

أحدهما: معجزات المسيح، التي جَرَت على يديه، كإحياء الموتى[٢]، وإبراءِ الأكمَه والأبرص[٣]، وغيرها من الأمور التي يعجز العبدُ عن فعلِها. قال الملك – معترضاً على وَصْف الإمام الباقلانيّ للمسيح ﷺ بالعبودية – : "كيف يكون المسيحُ عبداً لله، وخَلْقاً من خَلقه، وقد أتى بهذه الآيات، وفعل ذلك كله؟! "[٤].

والدليل الآخر: تضرّع الأنبياء للمسيح ﷺ.

وزعم المناظر أنَّ "سائر الأنبياء – من آدم، إلى مَن بعده – كانوا يتضرّعون للمسيح ﷺ؛ حتى يفعل ما يطلبون" [٥]!

---

(١) المسيح إنسان أم إله. المستشار/ محمد مجدي مرجان، ص١٤٧ بتصرف، مكتبة النافذة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

(٢) راجع: (متَّى ٩/ ١٨– ٢٥)، (لوقا ٧/ ١١ – ١٦)، (يوحنا ١١/ ٣٨ – ٤٤).

(٣) راجع: (متى ٤/ ٢٣ – ٢٥، ٨/ ١٤ – ١٦، ٩/ ٢٧ – ٣٣، ١٤/ ١٤)، (مرقس ٨/ ٢٢ – ٢٥، ١٠/ ٤٦–٥٢)، (لوقا ١٧/١١–١٩)، (يوحنا ١١/ ٣٧).

(٤) ترتيب المدارك : ٧/ ٦٥ .

(٥) ترتيب المدارك: ٧/ ٦٦.

المطلب الثالث

جواب الإمام الباقلانيّ على هذه الأدلة

تضمَّن جوابُ الإمام الباقلانيّ على هذه الأدلة النقاط الآتية :

أولا: بيان عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام

سُئل الإمام الباقلاني في مجلسِ الملك عن قوله في المسيح عليه السلام، فأجاب: "هُوَ رُوحُ الله، وكلمتُه، وعبدُه، ونبيُّه ورسولُه"، ثم تلا هذه الآية {**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**}(١). (٢).

تلك عقيدةُ المسلمين في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، والتي يمكن بسطها في الآتي :

١- عيسى عليه السلام عبدُ اللهِ، ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريم، ورُوحٌ منه. قال تعالى: {**إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ**}(٣)، وقال سبحانه: {**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**}(٤).

وسُمِّي المسيح عليه السلام {كَلِمَة}؛ لأنَّه وُجد بكلمةِ الله وأمرِه، من غير واسطةٍ ولا نُطفة، كما قال – تعالى – :{**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب** ....} (٥)، ومعنى قوله: {**وَرُوحٌ مِنهُ**} ففيه وجوه: الأول، أي: رحمةٌ منه، كما قال تعالى: {وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ}(٦) أي برحمة منه، والثاني: أنه كان سبباً لحياة الخَلق في أديانهم، ومَن كان كذلك وُصِفَ بأنه رُوح. كما قال – تعالى – في صِفةِ القرآن: {**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا**}(٧)، والثالث: أنه جرت عادةُ الناس أنهم إذا وصفوا شيئاً

---

(١) سورة آل عمران: الآية رقم ٥٩.

(٢) ترتيب المدارك (٧/ ٦٥)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٩).

(٣) سورة الزخرف: الآية رقم ٥٩.

(٤) سورة النساء: الآية رقم ١٧١.

(٥) سورة آل عمران: الآية رقم ٥٩.

(٦) سورة المجادلة: الآية رقم ٢٢.

(٧) سورة الشورى: الآية رقم ٥٢.

بغاية الطهارة والنَّظافة، قالوا: إنه رُوح، فلمَّا كان عيسى لم يتكون من نُطفةِ الأب، وإنما تكوَّن من نفخة جبريل عليه السلام وُصِف بأنه رُوح، والمراد من قوله: **{مِنْهُ}** التشريف والتفضيل. والرابع: أنَّ الرُّوحَ هو النَّفخُ في كلام العرب، فالروح عبارة عن نفخةِ جبريل، وقوله: **{مِنْهُ}** يعني أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمرِ الله وإذنه، وهذا كقوله: {**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا**}(١). (٢).

٢- وُلِد عيسى عليه السلام من مريم العذراء، بلا أبٍ، كما خُلِق آدمُ عليه السلام، قال تعالى: {**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**}(٣)، وقال - سبحانه - على لسان مريم: {**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ الله يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**}(٤).

٣- بعثه اللهُ - تعالى - إلى بني إسرائيل خاصةً، قال سبحانه : {**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**}(٥)، وآتاه الإنجيلَ؛ مُصدِّقاً لما بين يديه من التوراة. قال سبحانه: {**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**}(٦).

٤- دعا عيسى عليه السلام قومَه إلى توحيد الله، وعبادته، وبشَّرهم بنبّوة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**}(٧)، وقال سبحانه: {**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**}(٨).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية رقم ٩١.

(٢) تفسير الرازي :١١/ ٩١.

(٣) سورة آل عمران: الآية رقم ٥٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية رقم ٤٧.

(٥) سورة آل عمران: الآية رقم ٤٩.

(٦) سورة المائدة: الآية رقم ٤٦.

(٧) سورة المائدة: الآية رقم ٧٢.

(٨) سورة الصف: الآية رقم ٦.

٥- أيَّد اللهُ - تعالى - عيسى عليه السلام بالمعجزات. قال سبحانه: {**إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي...** }(١).

٦- لم يمت عيسى عليه السلام، ولم يقتله أعداؤه من اليهود، ولم يصلبوه، بل نجَّاه اللهُ منهم، ورفعه إلى السَّماء، قال - تعالى - عن اليهود: {**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً**}(٢).

٧- سيكون نزوله عليه السلام آخر الزمان؛ ليحكم بشريعة الإسلام، كما قال النبيُّ ﷺ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسِطاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ ...."(٣).

ثانيا : جواب الإمام الباقلاني على الاستدلال الأول

استدل الملك على ألوهية المسيح عليه السلام بالمعجزات الكثيرة التي جرَت على يديه، كإحياء الموتَى، وإبراء الأكمَه والأبرص، وغيرها من المعجزات، التي لا تصدر إلاَّ عن إلهٍ قديرٍ قاهر(٤).

وأجاب القاضي على هذا الاستدلال بالآتي:

١- معجزات المسيح عليه السلام كانت بإذن الله وبأمره.

فأنبياء الله - عليهم السلام - لا يفعلون المعجزات من ذاتهم، وإنما يُجريها الله - تعالى - على أيديهم؛ تصديقاً لهم(٥).

---

(١) سورة المائدة: الآية رقم١١٠.

(٢) سورة النساء: الآيتان رقم ١٥٧، ١٥٨.

(٣) صحيح الإمام البخاري :كِتَابُ: البُيُوعِ، بَابُ: قَتْلِ الخِنْزِيرِ، كِتَاب: المظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ: كَسْرِ الصَّلِيبِ وَقَتْلِ الخِنْزِيرِ (١٣٦/٣)، صحيح الإمام مسلم: كِتَابُ: الإِيمَانَ، بَابُ: نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِماً بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، (١٣٥/١).

(٤) راجع: ترتيب المدارك، ٧/ ٦٥.

(٥) المرجع السابق نفسه.

واستشهد القاضي لذلك بقوله تعالى: {**إِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي**}(١)، وبقوله سبحانه: {**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ الله وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ...** }(٢). (٣).

فقوله تعالى عند كل معجزةٍ: {بِإِذْنِي}، و{بإذنِ الله} رَفْعٌ لتوهّم مَن اعتقد في عيسى الألوهية(٤).

هذا ما استشهد به الإمامُ في بيان حقيقة المعجزة، وفي الأناجيل التي بين أيدي النَّصارى، ما يشهد بذلك :

أ- في الأناجيل أنَّ المسيح عليه السلام أعجزُ من أن يقوم بهذه المعجزات بنفسه، يقول المسيح: "أنا لا أقدرُ أن أفعل من نفسي شيئا"(٥).

ب- وفي الأناجيل ما يبرهن على أنَّ معجزات المسيح عليه السلام إنما هي بقدرة الله وأمره، يقول المسيح: "بإصبع الله أُخرج الشياطينَ"(٦)، ويقول: "أنا برُوح الله أُخرِج الشَّيَاطِين "(٧)، ويقول بولس: "يسوعُ الناصريّ رجلٌ، قد تبرهن لكم من قِبل الله بقواتٍ وعجائبَ وآياتٍ، صنعها اللهُ بيده، في وسطكم"(٨) ويقول نِيقُودِيمُوس – رئيسُ اليهود – للمسيح: "نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّماً؛ لأَن لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ، إِنْ لَمْ يَكُنِ اللهُ مَعَهُ"(٩).

---

(١) سورة المائدة: الآية رقم ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم ٤٩.

(٣) ترتيب المدارك : ٧/ ٦٦.

(٤) المرجع السابق: ٨/ ٢٢٩.

(٥) يوحنا: ٥/ ٣٠.

(٦) لوقا: ١١/ ٢٠.

(٧) متَّى: ١٢/ ٢٨.

(٨) أعمال الرسل: ٢/ ٢٢

(٩) يوحنَّا: ٣/ ١-٢.

جـ- وأوضح المسيح أنَّ الهدف من المعجزات هو الإيمان بأنه رسول الله، جاء في إنجيل يوحنا: "الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي، هي تشهد لي"[١].

٢- المعارضة بمعجزات الأنبياء السابقين :

وأجاب الإمام الباقلاني - أيضا - بأنه لو كان المسيح عليه السلام يحيي الموتى، ويُبرئ الأكمهَ والأبرصَ بنفسه، لجاز أن يُقال عن موسى عليه السلام إنَّه فَلَق البحر، وأخرج يدَه بيضاء من غير سوءٍ من ذاته. فلمَّا لم يجز هذا؛ لم يجز أن تُسند المعجزاتُ التي ظهرت على يد المسيح إليه[٢].

ولا ريب أنَّ انفلاق البحر لموسى، أعظمُ من إحياءِ الموتى لعيسى — عليهما السلام -؛ لأنَّ في انفلاقِ البحر تغيير لطبائع الأشياء، وكذلك قَلْبُ العصا حيَّةً أعظمُ من إحياء الموتى؛ لأنَّه لا علاقةَ بين العصا والحيَّة، لكن علاقة الجسمية بين بدن الحيِّ وبدن الميت ما زالت قائمةً، ومع هذا فلم يقل بألوهية موسى السحرةُ من قوم فرعون، ولا المؤمنونَ من قوم موسى عليه السلام [٣].

ولو سلَّمنا أنَّ الإحياء كان بفعل المسيح، فقد نصَّ "العهدُ القديم"[٤] على أنَّ (إلياس) أحيا ابن الأرملة[٥]، و(إليشع) أحيا موتَى بإذن الله[٦]، بل إنَّ (عظام) إليشع أحيت ميتاً[٧]!، و(حزقيال) أحيا أُلوفاً بإذن الله[٨]، و(بطرس)[١] أحيا طابيثا[٢]، وشفى كسيحاً[٣]، ومشلولاً من ثماني سنوات[٤].

---

(١) يوحنا: ١٠/ ٢٥.

(٢) ترتيب المدارك (٧/ ٦٦)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٣٩).

(٣) راجع: تفسير الرازي (٢٤٧/٨)، المنتخب الجليل مِن تخجيل مَن حرَّف الإنجيل، أبو الفضل السعودي المالكي، ص١٧٦، تحقيق: رمضان الصفناوي البدري، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين، د/ محمد أحمد ملكاوي، ص٧٢- ٧٣، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٤) العهد القديم: هو الأسفار التي اعتمدها اليهودُ، على اختلاف بينهم في عددها، وأطلقوا عليها اسم "العهد القديم"؛ للتفرقة بينها وبين ما اعتمده النصارى من أسفارهم، التي أطلقوا عليها اسم "العهد الجديد". (الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة للإسلام: ص١٣).

(٥) راجع: الملوك الأول، ١٨/ ١٧ — ٢٤.

(٦) راجع: الملوك الثاني، ٤/ ٣٣- ٣٦.

(٧) راجع: السابق، ١٣/ ٢١.

(٨) راجع: حزقيال، ٣٧/ ١-١٠.

فإن كانت هذه الأفعال دليلَ الربوبية، فليكن إلياس، وإليشع، وحزقيال، وبطرس، وغيرهم آلهةً، مساوين للمسيح عليه السلام في الألوهية. ولما لم يَقُلْ بذلك أحدٌ، دلَّ على بطلان ما اعتمدوا عليه في ألوهية المسيح[٥].

ثالثا: جواب الإمام الباقلاني على الاستدلال الثاني

زعَم الملكُ أن الأنبياء كلَّهم كانوا يتضرَّعون للمسيح عليه السلام؛ لقضاء حوائجهم؛ محاولاً بذلك ردَّ الاعتبار لعقيدته.

فأجابه الإمام الباقلاَّني بأن ما زعمَه يمكن لكلِّ صاحب دينٍ أن يدَّعيه، فليس قاصراً على النصارى وحدَهم، يقول الإمام: "أَوَ فِي لسانِ اليهودِ عَظْمٌ، لا يقدرون أن يقولوا إنَّ المسيحَ كان يتضرَّعُ إلى موسى؟! وكُلُّ صاحبِ نَبِيٍّ يقول: إنَّ المسيحَ كان يتضرَّعُ إلى نبيِّه، فلا فَرْقَ بين الموضعَيْن في الدَّعوى ا.هـ"!![٦].

والواقع أنَّ المسيحَ عليه السلام كان حريصاً على التفريق التام بين مقامي الألوهية والعبودية الخالصة؛ خشيةَ الارتياب في بشريته وعبوديته للهِ الأحد، ولذا كان عليه السلام دائمَ التضرّع لربّه – كغيره من أنبياء الله – فيدعوه قبل حصول المعجزة، ويشكره بعد حصولها[٧].

جاء في "إنجيل مرقس" أنَّ المسيح عليه السلام كان ينظر إلى السَّماء قبل حصول المعجزة، "فأخذ

---

(١) بطرس: أو "سمعان بطرس" أحد التلاميذ الاثني عشر، يحتلّ مكانة بارزة في أناجيل العهد الجديد وسفر أعمال الرسل. (قاموس الكتاب المقدس، ص١٢٢، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين).

(٢) راجع: أعمال الرسل، ٩/ ٣٦- ٤٢.

(٣) راجع: السابق، ٣/ ٦-٩.

(٤) راجع: السابق، ٩/ ٣٢ – ٣٤.

(٥) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الردِّ على المِلَّةِ الكافرة. أبو العباس، أحمد بن إدريس الصنهاجي، المشهور بـ (القرافي)، ص٨٩، تحقيق: مجدي الشهاوي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الجواب الصحيح لمن بدَّل دينَ المسيح (١٧/٤).

(٦) ترتيب المدارك: ٧/ ٦٦.

(٧) بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين: ص٧٧ بتصرف.

الأرغفةَ الخمسةَ والسمكتين، ورفع نظرَه نحو السماء، وبارك، ثم كسر الأرغفةَ"[١]، وفيه – أيضاً – عند إبرائه للأصم الأخرس: "ورفع نظرَه نحو السماء"[٢].

وفي "إنجيل يوحنا" بعد أن أحيا (أليعازر): "ورفع يسوعُ عينيه إلى فوق، وقال: أيُّها الآب، أشكرك لأنَّك سمعتَ لي، وأنا علمتُ أنَّك في كلِّ حينٍ تسمعُ لي، ولكن لأجلِ هذا الجَمْعِ الواقف قلتُ: ليؤمنوا أنَّك أرسلتني"[٣]، فقولُ المسيح: "وأنا علمتُ أنك في كلِّ حينٍ تسمع لي" نَصٌّ في أنّه كان – دائما – يسأل ربَّه قضاءَ الحاجات، فيستجيب له[٤].

رابعا: إبطاله بنوة المسيح لله – عزَّ وجَل –

جاء في مصادر المناظرة أنَّ الإمام الباقلانيّ، دخل يوماً على مِلِك النصارى، فرأى عنده البَطْرَكَ، قَيِّمَ الدِّيانةِ، وَوَلِيَّ النِّحلةِ، فسلَّم القاضي عليه أحفلَ سلامٍ، وسأله أحفَى سؤالٍ، وقال له: "كيف أنتَ ؟ وكيف الأهل والولد؟ "، فعظُم قولُه هذا عليه، وعلى جميعِهم، وتغيَّروا له، وَصَلَّبُوا[٥] على وجوههم، وأنكروا قولَ أبي بكرٍ عليه. وقال له الملِك: ذكر مَن أرسلكَ في كتاب الرسالة أنَّك لسانُ الأُمَّة، ومتقدِّمٌ على علماء المِلَّة، أمَا علمتَ أَنَّا نُنَزِّه هؤلاء عن الأهلِ والأولاد؟! عندئذٍ تساءل الإمامُ، في عَجَبٍ: "يا هؤلاء، تستعظمون لهذا الإنسان اتِّخاذَ الصَّاحبة والولد، وتَرْبُونَ به عن ذلك، ولا تستعظمونه لربِّكم – عَزّ وَجْهُه –، فتضيفون ذلك إليه؟! سوأةً لهذا الرأي، ما أبينَ غَلَطه". فسُقط في أيديهم، ولم يردوا جوابا[٦].

ونقف مع جواب القاضي، المفْحِم لهم، لنفصّله على الوجه الآتي:

١– حُكم زواج الرُّهبان في المسيحية :

تقوم الرهبنة المسيحية على ثلاثة أسس: الطاعة، الفقر، التَّبَتُّل. ويقصد بـ (التَّبَتُّل): الامتناع عن كلِّ تلذُّذٍ جنسي أيّاً كان، ومنه عدم الزواج. والبتوليةُ سِمَةٌ ملازمةٌ للرهبان عَبْرَ التاريخ، ويستدلون على

---

(١) مرقس: ٦/ ٤١.

(٢) مرقس: ٧/ ٣٤.

(٣) يوحنا: ١١/ ٤١، ٤٢.

(٤) بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين: ص٧٨.

(٥) سبق التعريف بالتَّصليب في (نصِّ المناظرة) من التمهيد.

(٦) ترتيب المدارك (٧/ ٦٨)، فهرست اللبلي (ص٥٦)، تبيين كذب المفتري (ص٢١٨– ٢١٩)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩١– ١٩٢)، عيون المناظرات (ص٢٤٨)، تاريخ قضاة الأندلس (ص٤٠).

وجوبها بقول موسى عليه السلام: "لا تقربوا امرأةً"[1]، وبما جاء في "سِفر الجامعة": "فَوَجَدْتُ أَمَرَّ مِن الموتِ المرأةَ، التي هي شِباكٌ، وقلبُها شِراكٌ، ويداها قُيودٌ، الصالحُ قُدَّام اللهِ ينجو منها، أمَّا الخاطئ فيُؤخَذُ بها"[2].

وبقول المسيح عليه السلام : "يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ"[3].

وبقول "بولس" في رسائله: "حَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لاَ يَمَسَّ امْرَأَةً"[4].[5].

وفي أوائل القرن الرابع الميلادي، أصدر "مجمع ألفيرا" في إسبانيا، قراراً بتحريم الزواج، وابتعاد كبار رجال الكنيسة عن كلِّ الشهوات الجنسية، وفي أواخر القرن الحادي عشر، أصدر البابا "جريجوري السابع" أمراً بتحريم الزواج على جميع القساوسة والرهبان، ولم يكد ينتهي القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان هذا القرار نظاماً مقرَّراً في الكنيسة الكاثوليكية، ومطبَّقاً على جميع القساوسة والرهبان، رجالا ونساء[6].

ويوجد في الشرائع المسيحية – الآن – اتجاهات ثلاثة، الأول: يذهب إلى تحريم زواج الكاهن، وهم طائفة الروم الأرثوذكس[7]، والثاني: يبيح زواج الكاهن، وأخذ بذلك (البروتستانت)[1]، والاتجاه الثالث

---

(١) الخروج : ١٩/ ١٥.

(٢) الجامعة : ٧/ ٢٦.

(٣) متى : ١٩/ ١٢.

(٤) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: ٧/ ١.

(٥) راجع التفصيل في: الرهبانية عند النصارى: تاريخها، تطورها، مظاهرها، دراسة نقدية في ضوء الإسلام. محمد بن أحمد الدنكير، ص١٥٨ — ١٧١، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، أسرار الكنيسة السبعة. حبيب جرجس، ص١٨٧– ١٩٢، نشر جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة، مطبعة التوفيق القبطية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٤م، الكنيسة، أسرارها وطقوسها، ص٤٨٩ –٤٩٢.

(٦) النصرانية والإسلام. المستشار. محمد عزت الطهطاوي، ص ٧٤، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٧) الأرثوذكس: أحدى الكنائس الرئيسية الثلاث في النصرانية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكلٍ نهائيٍّ عام ١٠٥٤م، وتمثَّلت في عدة كنائس مستقلة، لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأنَّ "الروح القدس" منبثق عن الأب وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح، وتُدعى (أرثوذكسية) بمعنى مستقيمة المعتقد، مقابل الكنائس الأخرى، ويتركَّز أتباعها في المشرق، ولذا يُطلق عليها (الكنيسة الشرقية).

يُحرِّم الزواجَ على بعض الرُّتَب الكنسية، كما في الطوائف الكاثوليكية[٢].

٢- تنزيه الله – تعالى – عن الولد :

كان أكثرُ ضلال الأمم في صفة الولد[٣]، قال تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ}**[٤]، و"قال كفَّارُ قريش: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وأمهاتُهم بناتُ سَرَواتِ الجِنّ"[٥]، أي: سادَتُهم وشُرفاؤهم[٦].

ولا ريبَ أنَّ نسبةَ الصَّاحبةِ والولدِ إلى الله – عزَّ وجلَّ – نقصٌ يتنزَّه عنه مقامُ الألوهيةِ والربوبية، ومعرفةُ هذا المقام تَحُولُ بين العبدِ وبين هذا الشَّططِ في الفِكر والاعتقاد؛ ولذلك قال مؤمنو الجنّ : {**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى الله شَطَطاً**}[٧].

وقد نزَّه اللهُ – عزَّ وجلَّ – نفسه عن اتّخاذ الولد، فقال: {**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}[٨].

وقال – تعالى – في آية ثانية: {**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**}[٩].

---

(١) البروتستانت: إحدى فِرق النصارى، تسمَّى كنيستهم بـ (البروتستانتية)؛ حيث يعترضون على كلِّ أمر يخالف الكتابَ وخلاص أنفسهم، كما تُسمَّى بـ (الإنجيلية)؛ حيث يتبعون الإنجيلَ دون سواه، وتُسمَّى بـ (اللوثرية)؛ نسبةً لـ (مارت لوثر: ١٤٨٣-١٥٤٦م) الذي أعلن اعتراضه على (كنيسة روما) في مسائل، منها: صكوك الغفران، وعصمة البابا، وشفاعة القديسين. [طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها: دراسة مقارنة، د/ إنعام بنت محمد عقيل، ص٥٤ – ٥٥، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٥٩هـ – ٢٠١٣م].

(٢) الزواج الإسلامي ومقارنته بالزواج في الشرائع المسيحية. المستشار/ طه الشريف، ص١٦٠، سنة ٢٠٠٥م.

(٣) حقيقة المثل الأعلى وآثاره. عيسى بن عبد الله السعدي، ص٢٧، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٤) سورة التوبة: الآية رقم ٣٠.

(٥) صحيح الإمام البخاري: كتاب: بدء الخَلق، بَابُ: ذِكْرِ الجِنِّ وَثَوَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ، (١٢٦/٤).

(٦) راجع: فتح الباري لابن حجر، ٣٤٦/٦.

(٧) سورة الجن: الآيتان رقم ٣، ٤.

(٨) سورة الأنعام: الآية رقم ١٠١.

(٩) سورة يونس: الآية رقم ٦٨.

وفي هاتين الآيتين دلائل بيّنات على إبطال نسبةِ الولد لله تعالى :

الأولى: أنَّ مَن اخترع السماواتِ والأرضَ مع عظمهما، قادرٌ على اختراع ما هو دونهما، فما الذي يُعجزه – تعالى – ويمنعه عن إبداع هذا العبدِ وتكوينه وخَلقه بالقدرة التي خلقَ بها العالمَ العُلويَّ والسُّفلي ؟!

الثانية: عدم اتخاذه الصاحبة يستلزم ضرورةً ألاَّ يكون لله ولد، فمَن ليس له صاحبة كيف يكون له ولد؟!

الثالثة: عمومُ خلقِه لكلِّ شيء منافٍ لنسبة الولدِ إليه؛ إذ لو كان له ولدٌ لم يكن مخلوقًا، بل جزءًا، وهذا يُنافي كونَه – تعالى – خالق كلِّ شيءٍ.

الرابعة: نسبةُ الولد إلى الله – تعالى – منافٍ لعموم علمِه؛ إذ لو كان له ولدٌ لعَلِمَه؛ لأنه بكلِّ شيءٍ عليم، فيستحيل أن يكون له ولدٌ لا يعلمُه، فحيث لم يَعلمْه؛ فهو غير كائن.

الخامسة: نسبة الولد إلى الله – تعالى – تستلزم حاجته وفقرَه، وذلك يُنافي غناه، فأيُّ حاجةٍ به – تعالى – إلى ولدٍ، وهو لا يتكثَّرُ به من قِلَّةٍ، ولا يتعزَّز به من ذِلَّة؟!

السادسة: كونُ ما في السموات والأرض مِلكاً له يُنافي أن يكون له وَلَدٌ؛ لأن الولدَ بعضُ الوالد وشريكُه، فكيف يكون عبدُه – تعالى – ومخلوقُه ومَملوكُه بعضَه ونظيرَه ؟![1].

وبيَّن – سبحانه – في الحديثِ القدسيّ أنَّ مَن نَسَبَ إليه اتّخاذ الولد، فقد شَتَمَهُ وَسَبَّه بقوله ذلك؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا »[2].

---

(١) بدائع الفوائد. محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بـ (ابن قيم الجوزية)، ٤/١٥٢– ١٥٤ بتصرف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة أو تاريخ.

(٢) صحيح الإمام البخاري: كتاب: تفسير القرآن، بَابُ: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ}، ٦/ ١٩.

المبحث الثالث

اتِّحاد اللاهوت بالنَّاسُوت

وفي مجلسٍ ثالثٍ، هو الأخير، دارت وقائعُ المناظرة حول "اتِّحاد اللاهوت بالنَّاسُوت"، وقد بدأ الحوارُ هذه المرَّة من جانبِ الإمام، الذي بادر بسؤال الملك – على سبيلِ الاستدراج – قائلاً: "أَتَّحَدَ اللاهوتُ بالنَّاسوت؟!"

أجاب الملكُ: "أراد أن ينجِّي الناسَ من الهلاك".

فتساءل الإمام الباقلانيُّ: "درى بأنَّه يُقتَلُ، ويُصلَبُ، ويُفعَلُ به كذا ؟ فإنْ قُلتَ إنَّه لا يدري ما أراد اليهودُ به، بَطَلَ أن يكون إلهاً، وإذا بطل أن يكون إلهاً، بَطَلَ أن يكون ابناً، وإنْ قُلتَ قد دَرَى، ودخل في هذا الأمرِ على بصيرةٍ. فليس بحكيمٍ؛ لأنَّ الحكمةَ تمنع من التعرُّضِ للبلاء"، فبُهِتَ الملك[١].

هذا مُجمل الحوار حول هذه المسألة، وفي المطالب الآتية بَسْطٌ وإيضاح :

(١) ترتيب المدارك : ٧/ ٦٦– ٦٧.

المطلب الأول

عقيدة الاتِّحاد عند النصارى

أولا: مفهوم الاتِّحاد عند النصارى

جاء المسيح عليه السلام بالدِّيانة بيضاءَ نقيَّة، توحيداً خالصاً، ومنهجاً ربَّانياً واضحاً، إلاَّ أنَّ النَّصارى انحرفوا بهذه الديانة عن وجهها الصَّحيح، إلى وثنيةٍ خالصة، وعقائدَ باطلة. ومِن بين هذه العقائد ما يُعرَف بـ (الاتِّحاد) أو (التجسد).

نَصَّ (دستورُ الإيمان)، الذي تمخَّض عنه (مجمع نِيقِيَّة، سنة ٣٢٥م) على الآتي : ".... نؤمن بالربِّ الواحد، يسوع المسيح، ابن الله الواحد .... الذي من أجلنا معشر البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسَّد من رُوح القُدُس، وصار إنساناً، وحُمِلَ به، ثم وُلِدَ من مريم البَتُول .... "[١].

ويقول البابا شُنودة الثالث[٢] : "الطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتَّحدت بالطبيعةِ النَّاسوتية التي أخذها الكلمةُ من العذراء مريمَ، بعمل الرُّوح القُدُس، الذي طهَّر مستودعَ العذراءِ طهارةً كاملة؛ حتى لا يَرِثَ المولودُ منها شيئاً من "الخطيئة الأصلية"[٣]، وكوَّن من دمائِها جسداً، اتَّحد به ابنُ اللهِ الوحيد، وقد تمَّ هذا الاتحاد منذ اللحظةِ الأولى للحَبَلِ المقدَّس، في رَحِمِ السيدة العذراء ... ا.هـ "[٤].

ثانيا: كيفية اتحاد اللاهوت بالنَّاسوت:

نظراً لاختلاف النصارى على كُنْهِ المسيح المؤَلَّه، وهل هو من طبيعةٍ إلهيةٍ خالصةٍ، أم من طبيعتين، إحداهما إلهيَّة، والأخرى إنسانيَّة ؟ وهل امتزجت الطبيعتان في المسيح ؟ أم احتفظتْ كلٌّ منهما بخواصها

---

(١) مجموعة الشرع الكنسي: ص٤١ .

(٢) وُلِد باسم "نظير جيِّد روفائيل" (٣ أغسطس ١٩٢٣– ١٧ مارس ٢٠١٢م) بقرية (سلام) بأسيوط : بابا الإسكندرية، وبطريرك الكَرازة المرقسية، وسائر بلاد المهجر، وهو البابا رقم ١١٧، كان أوَّلَ أسقُف للتعليم المسيحي قبل أن يصبح البابا. /http://www.copticpope.org

(٣) يقصد بـ (الخطيئة الأصلية) خطيئة آدم عليه السلام بأكله من الشجرة المحرَّمة.

(٤) طبيعة المسيح للبابا شنوده: ص٧ .

ومزاياها؟[1].

نظرا لهذا الاختلاف، لم تتفق كلمةُ النَّصارى في كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

١- الاتحاد عند القائلين بالطبيعة الواحدة[2]:

يقول البابا شنوده الثالث، متحدِّثاً عن طبيعة الاتحاد وكيفيته : "هو اتحادٌ بغير اختلاطٍ، ولا امتزاجٍ، ولا تغييرٍ، ولا استحالة.. ليست اختلاطاً مثل اختلاط القمح بالشعير، ولا امتزاجا مثل مَزْج اللبن بالماء، كما لم يحدث تغيير مثل الذي يحدث في المركَّبات، فما استحال اللاهوتُ إلى ناسوتٍ، ولا استحال الناسوتُ إلى لاهوت، كما أنَّ اللاهوتَ لم يختلط بالنَّاسوت، ولا امتزج به، إنما هو اتِّحادٌ أدى إلى وحدةٍ في الطبيعة، ومثاله: اتحاد الحديد والنار، ففي حالة الحديد المحمى بالنار، لا نقولُ هناك طبيعتان: حديد، ونار، إنما نقول: حديد مُحمى بالنار، كما نقول في طبيعة السيد المسيح: إِلَهٌ مُتَأَنِّسٌ، أو إله مُتجسِّد، ولا نقول إنه اثنان، إله وإنسان، وفي حالة الحديد المحمى بالنار لا توجد استحالة، فلا الحديد يستحيل إلى نار، ولا النار تستحيل إلى حديد، ولكنهما يتَّحدان معا بغيرِ اختلاطٍ ولا امتزاج"[3].

٢- الاتحاد عند القائلين بالطبيعتين[4]:

أمَّا أصحاب الطبيعتين فيقولون إنَّ في المسيحِ طبيعتين، إحداهما لاهوتية، والأُخرى ناسوتية، وهاتان الطبيعتان باقيتان في المسيح بعد الاتِّحاد بالتجسد، وأنَّ كلَّ طبيعةٍ باقية على حِدَة، ومحافظة على

---

(١) المسيح إنسان أم إله: ص١٤٢.

(٢) القول بالطبيعة الواحدة هو قولُ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، ويشاركهم في هذا المعتقد (الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية)، ويُقصد بها الكنائس السريانية، والأرمينية، والإثيوبية، والهندية، وهي الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية. (راجع: طبيعة المسيح للبابا شنوده، ص٨).

(٣) طبيعة المسيح: ص١٢- ١٣.

(٤) القول بالطبيعتين في المسيح، هو قول الكنيسة الكاثوليكية، واليونانية (الروم الأرثوذكس)، ويشاركهم في هذا الاعتقاد الكنائس البروتستانتية. (راجع: طبيعة المسيح للبابا شنوده، ص٨).

خواصها وصفاتها[١].

يقول كتاب [التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية] : "على أَثَرِ الآباءِ القدِّيسين نُعلِّم – بالإجماع – الاعترافَ بابنٍ واحد، هو سيِّدنا المسيح، الكامل في اللاهوت، والكامل في النَّاسوت، إلهٌ حق، وإنسانٌ حقّ، ... الذي جوهره جوهر الآب مِن حيث اللاهوت، وجوهره جوهرنا مِن حيث النَّاسوت، الذي يُشبهنا في كلِّ شيءٍ، ما عدا الخطيئة. الذي وَلَده الآبُ قبل جميع الدهور مِن حيث الألوهية، وفي هذه الأيّام الأخيرة وُلِد من مريم البتول، والدةِ الإله مِن حيث الناسوت؛ لأجلنا ولأجل خلاصِنا. واحدٌ هو، وهو نفسه المسيح، والربّ، والابن الوحيد الذي يجب أن نعترفَ به في طبيعتين غير مختلطتين، وغير متغيّرتين، ولا منفصلتين، إن اختلاف الطبيعتين لم يلغه اتحادهما، بل بالحريّ احتفظت كلٌّ واحدةٍ بميزاتها، واجتمعت كلُّها في شخصٍ واحدٍ وأقنومٍ واحد ا.هـ "[٢].

ومع وجود هذا الاختلاف بين النصارى حول كيفية الاتحاد، ومحاولة كلِّ فريق تبرير عقيدته، وإيضاحها، يبقى (الاتحاد والتجسُّد) سِرّاً تعجز اللغةُ عن التعبير عنه[٣] !! " عظيمٌ هو سِرُّ التَّقوى، الله ظهر في الجسد"[٤].

ثالثا: سبب الاتحاد وعِلَّته

ذكر الملكُ أنَّ العلَّة من اتحاد اللاهوت بالناسوت، هي: إرادة إنقاذ النَّاس من الهلاك[٥]، ومراده بذلك تخليص الجنس البشري من الهلاك الواقع عليهم بسببِ خطيئة آدم عليه السلام، وأكْلِه من الشجرة المنهيِّ عنها.

فما هي فكرة "الخطيئة الأُولَى"، وما فلسفتها عند النَّصارى ؟!

يرى جمهور النصارى أنَّ "الخطيئة الأولى" لم تقتصر على آدمَ وحوَّاء، بل امتدت – بحُكم التناسل

---

(١) الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه. د/ أحمد علي عجيبة، ص٤٠٨، سلسلة (موسوعة العقيدة والأديان) العدد (١١)، بدون طبعة أو دار نشر.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية. عرَّبه عن الطبعة اللاتينية الأصلية: المتروبوليت حبيب باشا، وآخرون، ص١١٣، بدون طبعة.

(٣) راجع: طبيعة المسيح، ص٧ .

(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس : ١٦/٣.

(٥) راجع: ترتيب المدارك، ٧/ ٦٦.

– إلى البشرية كلِّها، على مرِّ الأجيال، يقول القس "لبيب ميخائيل" : "لقد كان آدمُ نائباً وممثِّلاً لجميعِ الجنس البشريِّ، الذي كان في صُلْبِه يومَ تعدَّى وصيةَ اللهِ ... وبعد طرْده من الجنةِ وَلَدَ نسلاً ساقطاً نظيره، ... وقد وَرِثَ هذا النسلُ عن أبويه الأوَّلَيْن حياةَ العداوةِ لله، والتمرد على شرائعه ووصاياه ا.هـ"(١).

ويقول كُتَّابُ المسيحية : إنَّ اللهَ من صفاته العدل والرحمة، وعدلُه يقتضي تنفيذ حُكمِ الموت على آدم وحواء، كما تقول التوراة : "لأنَّك يومَ تأكلُ منها مَوْتاً تموت"(٢)، لكنَّ رحمته تقتضي أن يعفو عنهما بلا قيدٍ ولا شرط، وهاتان صفتان لا يمكن التوفيقَ بينهما؛ إذا أراد أن يُميتَ بالعدل، منعته الرحمةُ، وإذا أراد أن يعفوَ، عَاقَهُ العدل، ولأنَّ خطيئة آدم لا بُدَّ لها من دمٍ، كما يقول القديس بولس: "وبِدونِ سَفْك دمٍ لا تحصلُ مغفرة"(٣)، ولا يصلح دمُ البشر لذلك؛ لأنهم ملوَّثون، كما لا يصلح دمُ الحيوان؛ لأنَّه لم يشترك في الخطيئة، كذلك لا يصلح دمُ الملاك؛ لأنَّ الملائكة ليس لها دم، إذاً لا بُدَّ أن يكون الدمُ دَماً إلهيّاً طاهراً، وفي الوقتِ نفسه يمثِّلُ البشريةَ، ولا حلَّ لهذه المشكلة إلاَّ بالتجسُّد"(٤).

ويمكن إيضاح القضية أكثر من خلال النقاط الآتية :

* الخطيئة الأصليّة (أكل آدم ﷺ من الشجرة) كانت حاجزاً بين الله والإنسان، "آثامُكم صارت فاصلةً بينكم وبين إلهكم"(٥).

* لا بُدَّ من التكفير، ولا يوجد من البشر من هو كفؤٌ لذلك؛ فكلُّهم خُطَاة، "كُلُّنا كغنمٍ ضَللنا. مِلْنَا كلُّ واحدٍ إلى طريقه، والربُّ وضع عليه إثمَ جميعِنا"(٦).

* لا بُدَّ أن يكون الفادي إلهاً وإنساناً؛ فبشريته تمكّنه من الاشتراك في طبيعةِ مَن جاء ليفديهم، وإلهيته تجعل له سلطاناً على الخطيئة.

---

(١) قضية الصلب: ص٨١، نقلا عن: المسيح إنسان أم إله، ص١١١.

(٢) التكوين: ٢/ ١٧.

(٣) رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين: ٩/ ٢٢.

(٤) المسيح إنسان أم إله (ص١١٢– ١١٣)، محاضرات في النصرانية. محمد أبو زهرة، ص١٠٦، ١٠٧، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٨١هـ – ١٩٦٦م.

(٥) إشعياء: ٥٩/ ٢.

(٦) السابق : ٥٣/ ٦.

* هذا الفادي هو الله، ولا بُدَّ أن يموت نيابةً عن البشر ! لكن كيف يموتُ وهو المكتوبُ عنه: "له وحدَه عدم الموت" ؟![1].

* ليس من حَلٍّ لهذا الإشكال إلا بالتجسد، فهو الباب الوحيد للتكفير عن الخطيَّة. ومِن ثَمَّ أرسل اللهُ ابنَه الوحيد — الذي هو الله أيضاً - ليحلَّ في رحم العذراءِ مريم، تسعة أشهر، ثم يُولَدُ بالجسد إنساناً ذا لحمٍ ودمٍ، ثم يُصلَبُ، فتحدث المعجزةُ، ويحلُّ الخلاصُ على بني البشر، يقول بولس: "لما جاء مِلءُ الزَّمان، أرسل اللهُ ابنَه مولوداً من امرأةٍ تحت النَّاموس * ليفتدي الذين هم تحت النَّاموس[2]".[3]

فالتجسد – عندهم – هو أساسُ عقيدة الخلاص، وهو الوسيلةُ الوحيدة للتكفيرِ عن الخطيئة !

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس: ٦/ ١٦.

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: ٤/ ٤- ٥.

(٣) راجع: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، ص٤١٥ — ٤١٨.

المطلب الثاني

نقض الإمام الباقلاني لعقيدة الاتحاد

استخدم الإمام الباقلاني – رحمه الله – في ردّه لعقيدة الاتحاد، الاستدلال العقلي، القائم على طريقة الاحتمال.

وقد حصر الاحتمالاتِ في اثنين، كلٌّ منها باطل، فما أدَّى إليهما فهو باطلٌ أيضاً.

الاحتمال الأول: أن يكون المسيح عليه السلام لا يدري بقَتْلِهِ وصَلْبِه، ويترتَّبُ على هذا بطلانُ القول بألوهيته؛ لأنَّ الجهل نقصٌ لا يليقُ بالإله، وإذا بطل أن يكون المسيحُ إلهاً، بطل أن يكون ابناً، من بابِ أولَى.

الاحتمال الثاني: أن يكون المسيح عليه السلام على علمٍ بقَتْلِه وصَلْبِه، ومع هذا دخل في هذا الأمر على بصيرةٍ، ومن ثمَّ فليس بحكيمٍ؛ لأنَّ الحكمة تمنع من التعرُّض للبلاء[١].

تعقيب :

ما ذكره الإمامُ – رحمه الله – صحيحٌ، إذا ما صرفنا النظرَ عن فلسفة "التجسُّد" وتوجيهه عند النصارى، أما إذا أخذنا في الاعتبار تفسيرهم له، وتبريرهم لحدوثه – وهو ما ينبغي أن يكون – فإنَّ القضية يمكن أن تُواجه، وتُنسَفَ من أساسها، من خلال إظهار مناقضتها لكِتابِ النصارى المقدَّس، الذي يؤمنون به.

١- فالكتاب (المقدَّس!) يؤكِّد على مسؤولية الإنسان عن فعلِه فقط، وأنَّه محاسَبٌ عمَّا جَنَتْهُ يداه، تقول التوراةُ: "لا يُقتَل الآباءُ عن الأولاد، ولا يُقتَل الأولادُ عن الآباء، كلُّ إنسانٍ بخطيته يُقتَل"[٢].

وتقول التوراة – أيضاً – أنَّ "الابنَ لا يحمل من إثم الأب، والأبُ لا يحملُ من إثم الابن؛ بِرُّ البارِ عليه يكون، وشَرُّ الشرير عليه يكون"[٣].

ويَزيد القرآنُ الكريمُ هذه الحقيقةَ وضوحاً، في قوله تعالى: **{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**

---

(١) ترتيب المدارك : ٧/ ٦٦- ٦٧.

(٢) التثنية: ١٦/٢٤.

(٣) حزقيال: ٢٠/١٨.

وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}(١).

٢- كما ينصُّ "الإنجيل" على أنَّ خلاصَ الإنسانِ في الدَّينونة يقوم على أمرين، لا علاقةَ لهما بالصَّلبِ مِن قريبٍ أو بعيد، وهما: الإيمان بالله، والعمل الصالح، وبدونهما لا فائدةَ تُرْجَى.

يقول المسيح: "إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَاباً يَوْمَ الدِّينِ * لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ، وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ"(٢).

ويقول يعقوبُ في رسالته: "الإِيمَانُ بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّت... بِالأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ، لاَ بِالإِيمَانِ وَحْدَه"(٣).

ويقول (مَتَّى) في إنجيله: "ثُمَّ يَقُولُ الملِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الملَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ* لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي، عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي، كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي* عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي، مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي، مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ * فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَاناً فَسَقَيْنَاكَ؟ * وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيباً فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَاناً فَكَسَوْنَاكَ؟ * وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟* فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ* ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ* لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي، عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي* كُنْتُ غَرِيباً فَلَمْ تؤْوِنِي، عُرْيَاناً فَلَمْ تَكْسُونِي، مَرِيضاً وَمَحْبُوساً فَلَمْ تَزُورُونِي* حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضاً قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً أَوْ عَطْشَاناً أَوْ غَرِيباً أَوْ عُرْيَاناً أَوْ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ * فَيُجِيبُهُمْ قِائِلاً: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا * فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ، وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ"(٤).

كلُّ هذا – وغيره – يؤكد أنَّ فكرة سفكِ دمِ المسيحِ عليه السلام؛ فديةً عن خطايا البشر، ما هي إلاَّ سرابٌ عَلِقَ برسالتِه فيما بعد.

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان رقم ١٣- ١٤.

(٢) متى : ١٢/٣٥ – ٣٧.

(٣) رسالة القديس يعقوب: ٢/٢٠، ٢٤.

(٤) متَّى : ٢٥/٣٤ – ٤٦.

المبحث الرابع
حادث الإفـك

إنَّ محاولة "هَدْم القِمـم"؛ للتوصل بذلك إلى هَدْمِ الإسلام، وإطفاءِ نُوره، هي سياسةٌ قديمةٌ قِدَم الكائدين لهذا الدِّين، وفي هذا المبحث الأخير نتناول إحدى المحاولاتِ البائسة لهدم القِمم الشَّامخة، والنَّيْلِ من زوجِ النبيِّ الكريمِ، وأمِّ المؤمنين، عائشةَ – رضي الله عنها – وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول
تعريض المناظر بأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

لزوجان النبيّ الطَّاهرات – رضوان الله عليهنَّ – من الفضل والحُرمة والمكانة الشيء الكثير؛ فهُنَّ أُمَّهات المؤمنين، وآل بيته ﷺ المطَّهرين، قال تعالى: {**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**}[١] "أي: في الحُرمة، والاحترام، والإكرام، والتوقير، والإعظام"[٢].

وقال سبحانه: {**إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**}[٣].

وهذا يستوجبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ تولِّي زوجاته ﷺ، ومعرفة فضلهنَّ، وإحسان القول فيهنَّ، والذَّبّ عنهنَّ، والردّ على منتقِصِهنَّ، قال ﷺ : "أُذَكِّرُكم اللهَ في أهل بيتي، أُذَكِّرُكم اللهَ في أهل بيتي، أُذَكِّرُكم اللهَ في أهل بيتي"[٤].

وفي هذا الجانب الأخير من المناظرة سأل الملكُ القاضيَ، قائلاً له : "أخبرني عن قصَّةِ عائشةَ، زوج نبيِّكُم، وما قيل فيها؟"[٥].

وهو هنا يُعرِّضُ بأُمِّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، ويلوِّحُ إلى "حادث الإفك" التي رُمِيَتْ

---

(١) سورة الأحزاب: الآية رقم ٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/٤٦٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية رقم ٣٣.

(٤) صحيح الإمام مسلم: كتاب: الفضائل، باب: مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، ٤/ ١٨٧٣.

(٥) تبيين كذب المفتري (ص٢١٩)، فهرست اللبلي (ص٥٦)، سير أعلام النبلاء (١٧/١٩٢)، عيون المناظرات (ص٢٤٨).

بها، والذي تناول أشرف بيتٍ عرفته البشرية، وهو بيتُ النبوَّةِ - على صاحبِهِ أفضل الصلاة وأزكى التسليم -.

المطلب الثاني
جواب الإمام الباقلانيّ عليه

بدأ الإمام الباقلانيُّ — رحمه الله - جوابَه بأنْ قَاسَ أُمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بغيرها من النساء اللاتي طهرهُنَّ اللهُ، واختار (مريم) أمَّ المسيح عليه السلام لتكون نموذجاً لهذا القياس، فقال مجيباً على البديهة، في ثِقةٍ وشموخٍ : "هما اثنتان، قيل فيهما ما قِل: زوجُ نبيّنا، ومريمُ ابنة عمران، فأمَّا زَوجُ نبيّنا فلم تلد، وأمَّا مريمُ فجاءت بولدٍ تحمله على كَتِفِها ! ومع هذا فقد برَّأها اللهُ مما رُمِيتْ به"[1].

ومراد الإمام بذلك أنَّ عائشةَ، أَوْلَى بالبراءةِ من مريم — رضي الله عنهما -؛ فمريمُ لا زوجَ لها، وقد أَتَتْ بولدٍ تحمله، وعائشة - رضي الله عنها — ذات زوجٍ ولم تأتِ بولدٍ ! فإن أثبتَّ الطُّهرَ للتي أتت بولدٍ ولا زوجَ لها (وهي مريم)، فمِن باب أولَى أن تُثبته للتي لم تأت بولدٍ ولها زوجٌ، وإن تطرَّق في الذهن الفاسدِ احتمالٌ إلى هذه، فهو إلى تلك أسرع.. ومع هذا فهما — بحمد الله ومَنِّهِ — مبرَّأتان بتبرئة الله لهما.

هذا رد الإمام، وجوابه على الإجمال، وهاك التفصيل :

أولا: موارد الشَّبه بين مريم وعائشة - رضي الله عنهما -

اختار الإمام الباقلاني (مريم) للقياس، دون غيرها من النساء؛ لما بين الشخصيتين من الشَّبه، الذي يمُكّنه من إفحام المناظر وإلزامه. ويظهر هذا الشبه من وجوه:

١- كلتاهما ابنتا رجلٍ صالح : فمريمُ ابنة عمران، وهو رجلٌ صالحٌ مِن ذرية إبراهيم عليه السلام [2]، قال تعالى:{**إِنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**}[3].

وأمَّا عائشةُ، فهي ابنة الصِّديق أبي بكر، صاحب المناقب الكبار، وجارُ النبي ﷺ في الرَّوضة

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص٢١٩)، فهرست اللبلي (ص٥٦)، سير أعلام النبلاء (١٩٢/١٧)، البداية والنهاية (٥٤٩/١٥).

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٩/١.

(٣) سورة آل عمران: الآية رقم ٣٣.

المحفوفةِ بالأنوار[1]، ويكفي فيه قول النبي ﷺ : "إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ[2] فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ، أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ .... "[3].

٢– كلتاهما من كوامل النساء: يقول النبي ﷺ : "كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ: آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ"[4].

٣– كلتاهما عُرفتا بالصِّدّيقية : يقول – تعالى – عن مريم: {**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**}[5]، "أَيْ: مُؤْمِنَةٌ بِهِ، مُصَدِّقَةٌ لَهُ، وَهَذَا أَعْلَى مَقَامَاتها"[6].

وأمَّا عائشة — رضي الله عنها – فقد وُصفت بأنها "الصِّدّيقَة بِنْت الصِّدّيق"[7].

٤– كلتاهما عُرفتا بالتبتُّلِ والعبادة: يقول – تعالى – عن مريم: {**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**}[8]، أي: الطَّائعين[9].

---

(١) راجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٢٨/١، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

(٢) أَمَنَّ: أَفْعَلُ تَفْضِيل مِنَ الْمَنِّ، بِمَعْنَى الْعَطَاءِ وَالْبَذْل، والمعنى : إِنَّ أَبْذَلَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ وَمَالِهِ. (فتح الباري لابن حجر: ١٣/٧).

(٣) صحيح الإمام البخاري: كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : "سُدُّوا الأَبْوَابَ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ"، (٤/٥)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المدِينَة، (٥٧/٥).

(٤) صحيح الإمام البخاري : كتاب: أصحاب النبي ﷺ ، باب: فَضْلِ عَائِشَةَ – رَضِيَ الله عَنْهَا، (٢٩/٥)، كتاب: الأطعمة، باب: الثريد، (٧٥/٧)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قَوْلِ الله تعالى: {وَضَرَبَ الله مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ}، (١٥٨/٤)، صحيح الإمام مسلم، كتاب: الفضائل، بَابٌ: فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، (١٨٩٥/٤).

(٥) سورة المائدة: الآية رقم ٧٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٨٢/٢.

(٧) راجع: فتح الباري لابن حجر (١٠٧/٧)، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة. أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ص٤١، تحقيق: سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م.

(٨) سورة التحريم: الآية رقم ١٢.

(٩) تفسير الرازي : ٤٥/٣٠.

وأما عائشةُ - رضي الله عنها — فقد ذُكر أنَّها "كانت تُصلِّي الضُّحَى صلاةً طويلةً"[1]، و"تصومُ الدَّهرَ في السَّفرِ والحَضَرِ"[2]، و"تتصدَّق بسبعين ألفاً وإنَّها لتُرَقِّعُ جَانِبَ دِرْعِهَا"[3]، وتُكثِرُ من التسبيح والذِّكْر[4]، رضي الله عنها وعن أبيها.

٥- كلتاهما اتُّهما في شرفه، فأنزل الله — تعالى — براءتهما في قرآنِه الذي يُتلَى ويُتعبَّدُ به.

ثانيا: اتهام اليهود لمريم — رضي الله عنها — وتبرئة الله لها

يقول — تعالى - عن اليهود : {**وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً**}[5]، والمعنى: ومن أسباب لَعْنِ اليهود، وضَرْبِ الذِّلةِ والمسكنةِ عليهم: كُفرهم بعيسى عليه السلام، وافتراؤهم الكذب على مريم أُمِّه، ورميهم إيَّاها بالزِّنى بغيرِ ثبتٍ ولا برهان[6].

يقول تعالى: {**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً**}[7].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: كِتَاب: صَلَاةِ التَّطَوُّعِ وَالْإِمَامَةِ وَأَبْوَابٌ مُتَفَرِّقَةٌ، ١٧٣/٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب: الصيام، باب: مَنْ لَمْ يَرَ بِسَرْدِ الصِّيَامِ بَأْساً، إِذَا لَمْ يَخَفْ عَلَى نَفْسِهِ ضَعْفا، وقال الإمام النووي: "رواه البيهقيُّ بإسناد صحيح". (المجموع، ٣٩٠/٦، طبعة دار الفكر).

(٣) تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مسند عمر بن الخطاب، ١٢٣/١. وراجع المزيد مِن جُودها — رضي الله عنها — في: (سير أعلام النبلاء، ١٨٧/٢).

(٤) راجع: صفة الصفوة. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ٣١٩/١، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٥) سورة النساء: الآية رقم ١٥٦.

(٦) تفسير الطبري : ٦/ ١٢.

(٧) سورة مريم: الآيات ٢٧- ٣٣.

ويذكر (التلمود)[1] أنَّ يسوع النَّاصري موجودٌ في لُجَّاتِ الجحيم، بين القار والنار، وأنَّ أُمَّه حملته وهي حائض، وأتت به من العسكري باندارا، بمباشرة الزنا، وهي امرأةٌ ساقطة، ومصفِّفة شُعور النساء، وهي البَغِي، المتجوِّلة في الأزقَّة والأسواق !![2].

وليس هذا بعجيب على قوم تطاولوا على خالقهم، وقتلوا أنبياءهم، ورموهم بأفحش الفِرَى.

وقد برَّأَ الله – تعالى – مريمَ من هذا الاتهام، فقال في مُحكم كتابه: {**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**}[3]، وقال تعالى: {**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ الله اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**}[4].

ثالثا: اتهام المنافقين لعائشة – رضي الله عنها – وتبرئة الله لها

وأمَّا عائشة – رضي الله عنها – فقد رُمِيَتْ بالزِّنَا، فيما يُعرف بـ (حادث الإفك)، الذي يعدُّ حلقةً في سلسلة الإيذاء، وطعنةً موجَّهةً – في المقام الأوَّل – إلى صاحب الرسالة ﷺ ، ثم للرجلِ الثَّاني في الإسلام، أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه .

وفي النقاط التالية تفصيل هذا وبيانه:

١– معنى (الإِفْك) :

الإِفْكُ: الكذب[5]، مأخوذٌ من أَفِكَ الشَّيءَ : إذا قَلَبَهُ عن وجهه، والإفك: الحديثُ المقلوبُ عن وجهِه، ومعنى القلب في هذا الحديث: أنَّ عائشةَ – رضي الله عنها – كانت تستحقُّ الثناءَ؛ بما كانت

---

(١) التلمود: أحد الكتب الدينية، وأقدسها لدى اليهود، وهو عبارة عن روايات شفوية، تناقلها الحاخاماتُ جيلا بعد جيل، حتى قام الحاخام (يهوذا هاناسي) بتدوين هذه الشريعة في كتابٍ أسماه (المشناه)، التي تم شرحها في كتاب سُمِّي (الجمارا) في القرن السادس الميلادي، ومن المشناه والجمارا يتكون التلمود. [راجع: التلمود كتاب اليهود المقدس. أحمد أيبش، ص٢٥– ٢٧، قدَّم له: د/ سهيل زكّار، جار قتيبة، بدون طبعة].

(٢) راجع: فضح التلمود. الأب آي. بي. برانيتس، إعداد: زهدي الفاتح، ص٥٧– ٥٨، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، التلمود شريعة بني إسرائيل (حقائق ووقائع)، ترجمة : محمد صبري، ص٢٨، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

(٣) سورة التحريم: الآية رقم ١٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية رقم ٤٢.

(٥) لسان العرب :١٠/ ٣٩٠.

عليه من الحصانةِ، وشَرَفِ الحسب والنَّسَب، لا القذف الذي رموها به، فالذين رموها بالسُّوءِ قلبوا الأمرَ عن وجهه، فهو إفكٌ قبيحٌ، وكذبٌ ظاهر"[١].

٢– مُلخَّص الإفك :

كان النبيُّ ﷺ يختار من بين نسائه مَن تصحبه في غزواته، وفي "غزوة بني المصْطَلِق"[٢] اختار ﷺ عائشة – رضي الله عنها –، وبعد انتهاء الغزوة بانتصار المؤمنين، عاد الجيشُ، وتأخرت عائشةُ – رضي الله عنها – تلتمس عِقداً من جَزْعِ ظِفار[٣]، قد انقطع، وحمل الصحابة – رضي الله عنهم – هودجَها إلى البعير يحسبونها فيه، فلما عادت ولم تجد أحداً، اضطجعت في مكانها؛ رجاءَ أن تُفتَقد فيرجع إليها، فنامت في الموضع، ولم يوقظها إلا قولُ "صفوان بن المعطّل[٤] : "إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ظعينة[٥] رسول الله"، وذلك أنه كان تخلَّف وراء الجيش لحِفظ السَّاقة، فلما رآها قرَّب منها بعيرَه، وتنحَّى عنها حتى ركبت، وأخذ يقودها حتى بلغ بها المدينةَ، فلما رآهما "عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول"[٦] رأسُ المنافقين، قال: "واللهِ ما نَجَتْ منه ولا نَجَا منها، وقال: "امرأة نبيِّكم باتَتْ مع رجلٍ"!، ونشر الإثمَ، وقبله من المهاجرين والأنصار مَن لا يمحِّصون الأقوال، وأثَّر ذلك في نفس النبي ﷺ، ومرضت عائشة – رضي الله عنها – فرأت من رسول الله ﷺ ما لم تعهده، فانتقلت إلى بيت أبيها؛ لتمرضها أُمُّها، وعرفت – فيما بعد – ما أشاع عنها قالةُ السُّوء، عندئذ أعلن النبي ﷺ بين المؤمنين ما في نفسه، واستشار أصحابه في خاصَّة

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي: ٣/ ٣٠٧.

(٢) هي غزوة المريسِيع، وكانت سنة ست للهجرة. (راجع: صحيح الإمام البخاري، كتاب: المغازي، باب: غَزْوَةِ بَنِي المصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَهِيَ غَزْوَةُ المرَيْسِيعِ، ٥/ ١١٥).

(٣) الجَزْع : خَرَزٌ يَمَانِيّ، وظَفَار: قَرْيَة فِي الْيَمَن. (شرح النووي على مسلم: ١٧/ ١٠٤).

(٤) صفوان بن المعطل بن رحضة السّلمي الذكوانيّ، أبو عمرو (٠٠٠ – ١٩هـ = ٠٠٠ – ٦٧٠م) : صحابي، شهد الخندق والمشاهدَ كلَّها، وحضر فتح دمشق، واستشهد بأرمينيَّة. وهو الّذي قال أهلُ الإفك فيه وفي عائشة – رضي الله عنها – ما قالوا. رَوى عن النبي ﷺ حديثين. [سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٤٥، الأعلام للزركلي: ٣/ ٢٠٦].

(٥) الأَصل في الظَّعينة، المرأة تكون في هودجها، ثم كثر ذلك حتى سَمَّوْا زوجة الرجل ظَعِينة. (لسان العرب: ١٣/ ٢٧١).

(٦) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث ابن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بـ (ابن سلول) (٠٠٠ – ٩هـ = ٠٠٠ – ٦٣٠م): رأس المنافقين في الإسلام. من أهل المدينة. كان سيِّدَ الخزرج. أظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقيَّة. ولما تهيأ النبي ﷺ لأُحُد، انخزل أبيٌّ، وعاد بمن كان معه إلى المدينة. وفعل ذلك يوم تبوك. [الأعلام للزركلي: ٤/٦٥].

أمره[1].

٣- مَن جاء بالإفك، ومَن تَوَلَّى كِبْرَه :

قسَّم الله – تعالى – الذين تحدثوا في الإفك إلى قسمين: مَن اخترع الإفك ونشره، ومَن ردَّده ترديداً، فالذي اخترع الإفكَ، وبدأ الخوض فيه، هو عبدُ اللهِ بن أُبَيّ ابن سَلُول[2]؛ وذلك "لإمعانه في عداوة رسول الله ﷺ، وانتهازه الفُرَص، وطلبه سبيلاً إلى الغميزة"[3]، فقال: "واللهِ ما نَجَتْ منه، ولا نَجَا منها، وقال: امرأةُ نبيِّكم باتَتْ مع رجلٍ حتى أصبحتْ، ثم جاء يقودُها"[4]، وعنه قال – تعالى- : {**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}[5]، "والكِبْرُ: مُعْظَمُ الشَّيْءِ"[6].

أمَّا الذي نشر الإفكَ، فجماعة من الصحابة، منهم: حسَّان بن ثابت[7]، ومِسْطح بن أُثاثة[8]،

---

(١) راجع: صحيح الإمام البخاري، كتاب: الشهادات، بَابُ: تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضاً، ٣/١٧٦، كتاب: تفسير القرآن، بَابُ: {لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المؤْمِنُونَ وَالمؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً}، ٦/١٠٤، بَابُ: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ}، ٦/١٠٨، صحيح الإمام مسلم: كتاب: التوبة، بَابٌ: فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ، ٤/٢١٣٥.

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٨٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٩).

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري، ٣/٢٢١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة.

(٤) تفسير الطبري (١٨/٨٩)، تفسير البغوي (٣/٣٩٢)، تفسير الكشاف (٣/٢٢١)، تفسير القرطبي (١٢/١٩٩).

(٥) سورة النور: الآية رقم ١١.

(٦) لسان العرب: ٥/ ١٢٨.

(٧) حسَّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد (٠٠٠ - ٥٤هـ = ٠٠٠ - ٦٧٤م) : الصحابي، شاعرُ النبي ﷺ، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة، لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً؛ لعِلَّةٍ أصابته، قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراءَ بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبيّ في النبوّة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. توفي في المدينة. [سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥١٢، الأعلام للزركلي: ٢/ ١٧٥]

(٨) مِسْطَح بن أُثاثة بن عبَّاد بن المطلب بن عبد مناف، أبو عباد (٢٢ ق هـ - ٣٤هـ = ٦٠١ - ٦٥٤م) : صحابي. كان اسمه عوفا، ولُقِّب بـ (مسطح) فغلبَ عليه. أُمُّه بنت خالة أبي بكر، وكان أبو بكر يمونَه، فلما كان حديثُ أهل الإفك جَلَدَه النبيُّ ﷺ مع مَن خاضوا فيه، وحلف أبو بكر أن لا يُنفِقَ عليه، فنزلت الآية: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى} [النور: ٢٢] فعاد أبو بكر، إلى الإنفاق عليه. وهو ممن شهد معه بدراً وأُحداً، والمشاهد كلها. [سير أعلام النبلاء: ١/ ١٨٧، الأعلام للزركلي: ٧/ ٢١٥]

وحَمْنَة بنت جَحْش[1] "[2].

٤- آيات البراءة :

أنزل الله — تعالى — في كتابه العزيز ستَّ عشرة آيةً، تُتلى في محاريب المسلمين وصلوتهم إلى يوم الدين، بَرَّأَ فيها أُمَّ المؤمنين عائشة — رضي الله عنها — ممَّا رماها به أهلُ الإفك، وشهد لها أنها من الطَّيبات، ووعدها المغفرةَ والرزقَ الكريم، وأخبر — سبحانه — أنَّ ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ورفعةً لشأنها[3].

يقول – تعالى – في هذه الآيات: {**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلا يَأْتَلِ**

---

(١) حَمْنَة بنت جحش بن رِياب، تُكنَى أم حبيبة، أخت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ . من المهاجرات، وكانت يوم أُحد تداوي الجرحى، وتسقي العطشى، كانت عند مصعب بن عمير، وقُتل عنها يوم أُحد، فتزوجها طلحة بن عبيد الله، فولدت له محمدًا وعمران، وكانت حمنة ممَّن خاض في الإفك، وجُلدت في ذلك مَعَ من جُلد فيه. [الإصابة في تمييز الصحابة : ٨/ ٨٨].

(٢) تفسير الطبري : ١٨/ ٨٦ – ٨٧.

(٣) راجع: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمدٍ خير الأنام. أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ص٢٣٨-٢٣٩، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) }[١].

(١) سورة النور: الآيات ١١- ٢٦.

الخاتمة

وتشتمل على أهمِّ النتائج، التي يمكن تقسيمها على النحو الآتي :

أولا : النتائج الخاصة بشخصية الإمام الباقلاني

١- عاصر الإمامُ الباقلانيّ (الدولةَ العبَّاسية) في فترة نفوذِ (البُويهيين)، وإحكام سيطرتهم عليها، وقد اتَّسم هذا العصرُ بالاضطراب السياسي، وضعف شأن الخلافة، وهوانِ سُلطانها، مع ازدهار ملحوظٍ في الناحية العلميَّة والفكرية.

٢- تمكّن الإمام الباقلاني، في عِلم الكلام، ومعرفته بالمذاهب والفرق والديانات المختلفة.

٣- تميُّز الإمام الباقلانيُّ – رحمه الله – بالفطنة، وحضور البديهة، وتيقظ الذهن، والقدرة الفائقة على محاورة الآخر، بعيداً عن التعصب والانفعال.

٤- قوَّة شخصيته، واعتزازه بدينه، وبعلمه.

ثانيا: النتائج الخاصة بالمناظرة

١- اتصل الإمام الباقلاني بـ (عضُد الدولة البويهي)، الذي وجَّهه (سنة ٣٧١هـ) لمناظرة النصارى، وبيانِ خلل عقيدتهم، وفسادِ دينهم.

٢- استغرقت المناظرةُ ثلاثةَ مجالس، ودارت حول أربعة موضوعات، الأول: انشقاق القمر لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، والثاني: طبيعة المسيح عليه السلام، والثالث: اتحاد اللاهوت بالنَّاسوت، والرابع: قصَّة الإِفْك.

٣- انتهت المناظرة بإفحام النصارى، وانكسارهم، وتسليم قساوستهم، وبطارقتهم بما يقول الإمامُ، بل واعترافهم له بالمكانة الدينية والعلمية.

٤- انتصر الإمام الباقلانيّ للإسلام وعقيدته، حتى خاف النصارى من وجوده بينهم، وأشاروا على ملكهم بسرعة إخراجه؛ خشية أن يفسد عليهم دينَهم، وحمَّلوه بالهدايا والمتاع، وعددٍ من أسارى المسلمين[1].

ثالثا: منهج الإمام الباقلاني في مناظرة النصارى

اتضح من خلال الدراسة أنَّ منهج الإمام الباقلاني — رحمه الله — في مناظرة النصارى ومجادلتهم،

(١) راجع: ترتيب المدارك (٦٨/٧).

يقوم على المعالم الآتية[1] :

١- سرعة البديهة :

ويتضح ذلك عندما سُئل عن أم المؤمنين عائشةَ – رضي الله عنها – وما قيل فيها، فأجاب – رحمه الله – على البديهة بلا توقُّفٍ ولا تلعثُم؛ حتَّى ألجم الخصمَ.

٢- الهجوم على الخصم :

المبادرة إلى سؤال الخصم لونٌ من ألوانِ الاستباق في المناظرة، وهو مستوى آخَرَ من مستويات الجدال عند القاضي، وذلك حين يُطْبِقُ على خَصْمِه من جميع الجهات، فلا يدَعُ له مجالاً للفرار أو الفِكاك. ويتضّح هذا من سؤاله البطرَك قَيِّمِ الدِّيانة، عن الأهل والولد. ولقد كان للسؤال وَقْعُه في نفوسِ القوم، حتَّى صلَّبوا على وجوههم؛ إنكاراً، واستعظاماً. وساعتها رَمَاهُم الإمامُ في مَقْتلٍ، وأخبرهم أنَّ إضافةَ الولد للهِ تعالى، مع إنكار ذلك على بطارقتهم، ظُلْمٌ كبير، وسَخَفٌ بيِّن.

٣- إلزام الخصم بما يعتقده :

ومحاجَّة الآخر بمعتقده ضَرْبٌ من الحُسن في المناظرة، ويظهر ذلك في ردّ الإمام الباقلاني على مَن أنكر انشقاقَ القمر؛ زاعماً أنَّ الخبر لم يبلغ حدَّ التواتر، فكان إلزامُ الإمام إيَّاه بقصة المائدة، فما يُقال في الانشقاقِ لا يبعُد أن يُقالَ – أيضا – في المائدة.

٤- الاستدلال بالقرآن الكريم :

ولما كان القرآن هو كتابُ الله، المحفوظُ من التبديل، المبرَّأُ من التحريف، المهيمِنُ على ما سبقه من الكُتب، استشهد به الإمام الباقلاني، وربَّما رأى البعضُ أنَّ هذا سبيلاً لا يُجدي في مناظرةِ النصارى؛ لعدم إيمانهم به.. لكنَّ استشهاد الإمام الباقلاني بالقرآن كان في موضعه، وله سببه، فمرَّة يُسألُ عن قوله في عيسى عليه السلام، فيستشهد لذلك بقوله تعالى: {**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ ... الآية**}، ومرة ثانية يزعم المناظرُ أنَّ معجزاتِ المسيح دليلُ ألوهيته وبنوته لله، بشهادة القرآن، فلا يجد القاضي مَنَاصاً من تكذيبه بالقرآن الذي استشهد به، مبينا له أن ذلك كان بإذن الله – تعالى – وبأمره.

---

(١) اكتفيت هُنا بالإشارة إلى الموقف، دُون التفصيل؛ فهذا أمرٌ سبق بيانُه في موضعه من البحث.

٥- استخدامه المنهج العقلي في الرد:

وللباقلاني – رحمه الله - قدرةٌ فائقةٌ على الاحتجاجِ العقليّ، وتمحيص الآراء، وقلْب الأدلة على أصحابها، وهو ما ظهر في مجادلته للنصارى، وتفنيد حججهم، فإذا هِيَ أَوْهَى من بيت العنكبوت، ويظهر ذلك من تفنيده أدلة الملك على ألوهية المسيح، وكذلك ردّه – رحمه الله – على قضية اتحاد اللاهوت بالناسوت.

وبعد، فهذه أهمّ نتائجِ البحث التي وقفتُ عليها، فإنْ كان من صوابٍ فمِنَ اللهِ – تعالى – وحده، وإنْ كان مِن خطأ فمِنّي ومن الشيطان، واللهَ أسألُ أن يُسدِّدَ الخَلَلَ، ويُقَوِّمَ العِوَجَ، وأن يرزقنا الإخلاصَ في القولِ والعمل.

والحمدُ للهِ أوَّلاً وآخرا..

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم (جَلَّ مَن أنزله).

أولا: كتب تفسير القرآن، وعلومه

٢- أحكام القرآن. أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤- البحر المحيط في التفسير. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ .

٧- تفسير القرآن. أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٩- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أبو العباس، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بـ (السمين الحلبي)، تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١١- زاد المسير في علم التفسير. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري)، الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٣- فتح القدير. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة.

١٥- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير، تفسير الرازي)، أبو عبد الله، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١٦- المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم، الحسين بن محمد، المعروف بـ (الراغب الأصفهاني)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

ثانيا: كتب السنة النبوية (متون وشروح)

١٧- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. أبو العلا، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السّجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٩- سُنن الترمذي. أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٠- السنن الكبرى. أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنات، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢١- شرح النووي على صحيح مسلم. أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٢- شرح مشكل الآثار. أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلمة، المعروف بـ (الطحاوي)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٤٩٤م.

٢٣- صحيح البخاري. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤- صحيح مسلم. أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٧- المفهِم لما أَشكل من تلخيص كتاب مسلم. أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرون، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

ثالثا: كتب الغريب والمعاجم

٢٨- التعريفات. علي بن محمد بن الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٩- دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون). القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٠- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: د/ حسين بن عبد الله العمري، وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣١- الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٢- الفروق اللغوية. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٣٣- لسان العرب. أبو الفضل، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٥- معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

رابعا: كتب السيرة والتاريخ الإسلامي

٣٦- البداية والنهاية. أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هَجَر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٧- البويهيون في فارس (دراسة في الأحوال السياسية والفكرية)، د/ علي حسن غضبان، دار ومكتبة عدنان، بغداد.

٣٨- تاريخ ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٩- تاريخ الأنطاكي. يحيى بن سعيد الأنطاكي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان

٤٠- تاريخ الدولة العباسية. د/محمد سهيل طقّوش، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤١- تاريخ بغداد. أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت، المعروف بـ (الخطيب البغدادي)، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٢- تجارب الأمم وتعاقب الهمم. أبو علي، أحمد بن محمد بن مسكويه، تحقيق: أبو القاسم إمامي. سروش، طهران، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٤٣- الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي. إعداد: رشاد عباس مغنوق. دكتوراة، قسم الدراسات العليا الحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٤- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، علي بن إبراهيم بن أحمد بن برهان الدين الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٤٥- قصص الأنبياء. عبد الوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

٤٦- الكامل في التاريخ. أبو الحسن، علي بن أبي الكرم الشيباني، المعروف بـ (ابن الأثير)، راجعه وصحَّحه: د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٧- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، الشيخ محمد الخضري بك، تحقيق: الشيخ محمد العثماني، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٨- مرآة الجنان وعِبرة اليقظان. أبو محمد، عبد الله بن أسعد اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، صححه وصحَّحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٠- يتمة الدَّهر في محاسن أهل العصر. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: د/ مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
خامسا: كتب التراجم والطبقات
٥١- الإصابة في تمييز الصحابة. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٥٢- الأعلام. خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، مايو ٢٠٠٢م.
٥٣- الأنساب. أبو سعد، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيي المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
٥٤- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمَن يستحق القضاءَ والفتيا). أبو الحسن، علي بن عبد الله النُّبَاهِي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٥٥- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. أبو الفضل، عياض بن موسى السبتيّ، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٥٦- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية. د/ قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٥٧- الديباج المذهَّب في معرفة أعيان علماء المذهَب. إبراهيم بن علي بن محمد فرحون، تحقيق وتعليق: د/ محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
٥٨- سلم الوصول إلى طبقات الفحول. مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول - تركيا، سنة ٢٠١٠م.
٥٩- سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد الذَّهبي، حقَّقه وخرَّج أحاديثَه وعلَّق عليه: شعيبُ الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
٦٠- طبقات الشافعية الكبرى. عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٦١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، بدون تاريخ.
٦٢- الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٦٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أبو العباس، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون طبعة.

سادسا: كتب الأديان

٦٤- الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة للإسلام. د/ علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٦٥- إظهار الحق. محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٦٦- بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين، د/ محمد أحمد ملكاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٦٧- التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية. عرَّبه عن الطبعة اللاتينية الأصلية: المتروبوليت حبيب باشا، وآخرون، بدون طبعة.
٦٨- التلمود شريعة بني إسرائيل (حقائق ووقائع)، ترجمة : محمد صبري، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٦٩- التلمود كتاب اليهود المقدس. أحمد أيبش، قدَّم له: د/ سهيل زكّار، جار قتيبة، بدون طبعة.
٧٠- التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسَيْن بولس ويوحنَّا. سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
٧١- الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه. د/ أحمد علي عجيبة، سلسلة (موسوعة العقيدة والأديان) العدد (١١)، بدون طبعة أو دار نشر.
٧٢- الرهبانية عند النصارى: تاريخها، تطورها، مظاهرها، دراسة نقدية في ضوء الإسلام. محمد بن أحمد الدنكير، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

٧٣- طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون. لواء/ أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٧٤- طبيعة المسيح. البابا شنوده الثالث، الطبعة الخامسة، فبراير ١٩٩٥م.

٧٥- طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها: دراسة مقارنة، د/ إنعام بنت محمد عقيل، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٥٩هـ - ٢٠١٣م.

٧٦- الفِرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم. سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

٧٧- فضح التلمود. الأب آي. بي. برانيتس، إعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٧٨- الكتاب المقدَّس. الرَّهبانية اليسوعية، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

٧٩- الكنيسة أسرارها وطقوسها، د/ عادل محمد درويش، سلسلة الرسائل العلمية، دار بلال بن رباح، دار ابن حزم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٨٠- مجموعة الشرع الكنسي (قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة)، جمع وترجمة وتنسيق: الأرشمندريت: حنانيا إلياس كسَّاب، مع توطئة لغبطة البطريرك: إلياس الرابع، مطبعة النور، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٨١- المسيح إنسان أم إله. المستشار/ محمد مجدي مرجان، مكتبة النافذة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

٨٢- المناظرة العجيبة (وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم)، جمَعها ونسَّقها: محمّد بن عبد العزيز الخضيري، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨٣- النصرانية والإسلام. المستشار. محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

سابعا: المراجع العامة

٨٤- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/ فريد الأنصاري، سلسلة الحوار، ٢٧، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٨٥- تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د/ محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٨٦- تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بـ (ابن عساكر)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ،

٨٧- التقريب والإرشاد (الصغير). أبو بكر، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٨٨- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨٩- عيون المناظرات. أبو عليّ، عمر السّكوني، تحقيق: سعد غراب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٢٦م.

٩٠- فهرست اللَّبْلِي. أبو الحجاج، أحمد بن يوسف الفِهري، تحقيق: ياسين يوسف بن عياش، عواد عبد ربه أبو زينة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. مصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

٩٢- معجم البلدان. أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٩٣- مناهج البحث العلمي. د/ عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.

٩٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. أحمد بن محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

فهرس الموضوعات